



دولة ليبيا
جامعة سبها
كلية الآداب
قسم التاريخ

بحث مقدم لقسم التاريخ
، كلية الآداب ، جامعة سبها لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التاريخ.

مؤتمر وستفاليا (1648م)

دراسة في تاريخ الدبلوماسية الدولية

للطالب

فوزي جيب اللّه عامر ارحيم

تحت إشراف

د مصطفي حامد ارحومة

العام الجامعي

2013 - 2014مسيحي.

جامعة سبها

كلية الآداب – إدارة الدراسات العليا

قسم التاريخ

عنـــوان البحث:

مؤتمر وستـفاليا (1648م)

دراســة في تاريـخ الدبلوماسيــة الدوليــة

إعداد الطالب:

فوزي جيب الله عامر ارحيم

إشراف الدكتور:

مصطفي حامد ارحومة

قدمت هذه الرسالة لاستكمال متطلبات الإجازة العالية (الماجستير)

بتاريخ: 3 / 10 / 2013 ف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

صدق الله العظيم

آل عمران الآية (103)

الإهداء

إلى روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "" إلى روح ابي الطاهرة في رحاب رب عظيم

" إلى من حمل همي بعدة مند نعومة الأظافر أمي الغالية إلى أخوتي وأبناء أخي الذين كانوا دوماً

سنداً إلى بعد الله و إلى زوجتي التي شجعتني وشدت من أزري وتحملت معي الكثير حتى

تم انجاز هذا البحث .

إلى كل أفراد أسرة جيب الله عامر أرحيم وبالأخص جيب لله بشير وملاك بشير " إلى

أولِئك المجاهدين المجهولين الذين لم يفلحوا بذكر أسمائهم فادوا واجبهم في صمت ولقوا

وجه ربهم شهداء وإلى أمي الكبير والغالية ليبيا اهدي أليهم جميعا هذا العمل

الباحث

الشكر والتقدير

نوجه بالشكر أولاً دائماً إلى الله عز وجل فهو نعم المولى ونعم النصير وبعد الشكر لله عز وجل يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى المنع المتدفق الدكتور الفاضل مصطفى حامد ارحومة . لما قدمه لى من توصيات علمية قيمة لإنجاح هذا البحث وكما أتقدم بالشكر والتقدير إلى المقيم والخبير الذي أفادني في توجيهه في هذا البحث كما أتقدم بالشكر والتقدير والاعتزاز إلى الإخوة أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ ، جامعة سبها .

ولا يسعني بعد هذه المرحلة الطويلة ألا أن اشكر واعترف بفضل كل من ساهم بجهد أو بصيغة مكنني من انجاز هذا العمل العلمي بصورته الحالية واخص بالذكر من قام بطباعة هذا البحث **عبد الرحمن خميس أبوستة .** والذي ساهم في انجاز هذا البحث وإخراجه في صورة النهائية وبخص مكتب النجم الثاقب للخدمات العامة بتامزاوة وكذلك من قام بتعديل البحث وبخص مكتب الجنوب براك الشاطئ .

الباحث

الفهرس

المقدمة:

أن مؤتمر وستفاليا (1648م) يعتبر نقطة تحول في تاريخ أوروبا، فقد جاء بسيف لا بسلام بعد اضطرابات فكرية وثورات وحروب أبرزها الانقلاب الديني الذي عرف باسم الإصلاح الديني The Rep0smation وهو الشرارة الأولى لاندلاع حروب أهلية ودولية بين أتباع المذاهب الدينية والتي برز فيه ظهور الدولة الوطنية الحديثة التي وجدت أن من صالحها في ظروف معينة أن تستفيد من الصراع الديني في تحقيق أغراضها السياسية التي اعتبرت حيوية بالنسبة لبقائها وتوطيد أركان قوتها.

لقد تكاثفت هذه العناصر جميعاً في تعجيل حرب طاحنة شملت اغلب أوروبا وهي ما يعرف بحرب الثلاثين عام (1618-1648م) والتي تداخلت فيه كل الأسباب سواء كانت دينية أو سياسية أو اقتصادية.

لقد استمرت هذه الحروب حتى عقد مؤتمر وستفاليا (1648م) الذي وضع حداً للمفاهيم القديمة التي تقضي بالخضوع للسلطة الكنيسة، وكذلك قضى هذا المؤتمر على أطماع أسرة الهاسبورج في السيطرة على أوروبا وبروز فرنسا كدولة متفوقة بفضل ملوكها ودبلوماسيتها التي كانت سبباً في فرض هيمنتها على أوروبا، وكذلك وضع مؤتمر وستفاليا حداً لهذه الحروب الدينية بفكر التسامح الديني بين المذاهب الدينية داخل أوروبا.

لذلك اتخذت بعض الدراسات العربية والأوروبية من مؤتمر وستفاليا محوراً سياسياً في تطور العلاقات السياسية التي أثرت في تطور أوروبا الحديثة وبوجه خاص الفكر الديني والمذهبي الجديد والتوسع الاستعماري والتوازن الدولي وظهور الدبلوماسية الحديثة.

ويرى الباحث من خلال دراسته لتاريخ أوروبا الحديث والمعاصر وبالأخص مؤتمر وستفاليا دراسة في تاريخ الدبلوماسية أن يتناول حقبة مفصلية من تاريخ هذا الجزء والتي تبدأ من بداية الإصلاح الديني أو الثورة الدينية إلى أسباب مؤتمر وستفاليا ونتائجه البعيدة على وضع أوروبا.

إن الباحث حاول تسليط الأضواء على تلك الحقبة والحقبة التي سبقتها وما تميزت به من أحداث كبيرة أدت في نهاية المطاف إلى التصادم والحروب حتى انعقاد مؤتمر وستفاليا 1648م الذي أدى في النهاية إلى التفوق الفرنسي وظهور روسيا وبروسيا على مسرح الأحداث الأوروبية.

أن الباحث اعتمد في دراسته هذه على تحليل الأسباب والنتائج والالتزام بالموضوعية العلمية والابتعاد عن الأحكام المطلقة مستخدماً في كثير من الأحيان أسلوب التشكيك والترجيح مستدرجاً القارئ للاشتراك معه في التفكير وتكوين الرأي، تاركاً القطع والحسم لما قد تسمح به الظروف مستقبلاً من جديد من المعلومات والمزيد من الدراسات.

وقد تم تقسيم الدراسة الى اربع فصول الفصل الأول سيتناول أوضاع أوروبا قبل مؤتمر وستفاليا وقسم إلى مبحثين، ويتناول المبحث الأول دوافع وعوامل الإصلاح الديني وتأثيره على وضع ألمانيا حيث أن هذا المبحث يناقش ويحلل الأسباب الحقيقية للإصلاح الديني وكيف اثر هذا الإصلاح على ألمانيا، كذلك ظهور المصلحين مثل مارتن لوثر والتغيرات التي وضعتها ثورته على ألمانيا وأوروبا وظهور المذهب البروتستانتي. ويتناول المبحث الثاني موقف البابوية من حركة لوثر وتاثيرها على الاوضاع في اوروبا .

الفصل الثاني سوف يتطرق الى الاوضاع الدينية للكنيسة الكاثولوكية واصلاحاتها وثورة الاراضي المنخفضة وقد قسم الى مبحثين المبحث الاول يتناول الاوضاع الدينية في انجلترا وسويسرا وفرنسا، وأما المبحث الثاني فيتناول وضع الكنيسة الكاثولوكية وثورة الاراضي المنخفظة

الفصل الثالث جاء محللاً لمؤتمر وستفاليا (1648م) وقسم إلى مبحثين المبحث الأول حرب الثلاثين عام (1618م-1648م)، ويهتم المبحث الثاني عن انعقاد المؤتمر وبداية المفاوضات ودبلوماسيته وشخصياته وقواعد التسوية فيه وتأثيره على القومية الألمانية.

الفصل الرابع سيوضح النتائج البعيدة لمؤتمر وستفاليا (1648م) وقسم إلى مبحثين، المبحث الأول يتناول عصر التفوق الفرنسي والملكية المطلقة، (عصر لويس الرابع عشر) أما البحث الثاني فيتطرق إلى ظهور روسيا وبروسياعلى مسرح الاحداث الاوروبية.

تناولت في دراستي لهذه الحقبة إلى مصادر كثيرة ومتنوعة للتعرف على وجهات النظر المختلفة لإثراء الموضوع، ويمكن حصرها فيما يلي:

1- الكتب العربية والأجنبية، حيث استعارت هذه الدراسة منها لتغطية جوانب البحث، وفي هذا الصدد لا أخالني مثبتاً رأياً في هذا البحث إلا بعد تدقيقه وتمحيصه ومقارنته واقتناعي بصحته بناء على ما قرأته ودرسته.

2- المصادر الاجنبية.

3- شبكة المعلومات العالمية. (الانترنت).

- أهمية الدراسة:

وجدت من خلال الدراسة أن هذه الحقبة من التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر تكتسب أهمية، فهو أولى المؤتمرات التي تظمنت شئون أوروبا واتخذت الطابع الدولي وقد وضع هذا المؤتمر حداً للحرية الدينية.

وتعد أهمية هذا المؤتمر انه عالج القضايا والحلول التي توصلت إليه ومن المحتمل أن تكون الأساس الذي قامت عليه العلاقات الدولية في أوروبا طوال الفترة من 1648م إلى قيام الثورة الفرنسية 1789م، وقد شمل هذا المؤتمر على ثلاثة جوانب أساسية هي التسوية الدينية والتسوية السياسية والتسوية الاقتصادية.

إن مؤتمر وستفاليا يعتبر وثيقة تاريخية هامة في العصر الحديث حيث اشتملت على العديد من المواضيع والمسائل المتعلقة في أوروبا وبالتحديد في ألمانيا والعلاقة بين المعسكرين البروتستانتي والكاثوليكي.

الفرضيات

1- ان مؤتمر وستفاليا يعتبر محورا اساسيا في تطور العلاقات السياسية بين الدول الاوربية الحديثة؟

2- انه خلق توازن دولي بين دول اوروبا ومهد للدبلوماسية الحديثة؟

تساؤلات الدراسة:

س1: ما هي عوامل ودوافع الإصلاح الديني في أوروبا ؟

س2: لماذا كانت ألمانيا أرضية خصبة لقيام حركة إصلاحية فيها والدور الذي لعبه المصلحين فيه ؟

س3: تكلم عن اصلاحات لوثر وتاثيرها على البابوية وموقفها منه؟

س4: لماذا انعقد صلح اوجزبرغ 1555م ؟ وما هي الحلول التي جاء بها وعيوبه؟

س5: هل كانت الأوضاع الدينية في انجلترا وسويسرا وفرنسا مناسبة لقيام الاصلاح الديني؟

س6: ما هو وضع الكنيسة الكاثوليكية بعد انتشار افكار لوثر؟

س8: هل يعتبر الدين سبب من أسباب الحرب ؟ أم هو مجرد حجة أو ذريعة استخدمها الأباطرة لتحقيق أغراضهم ومصالحهم ؟

س9: هل كان الاضطهاد الديني للبروتستانت من قبل الكاثوليك الشرارة الأولى في اندلاع حرب الثلاثين عام؟

س10: هل يعتبر مؤتمر وستفاليا 1648م هو الأساس الذي قامت عليه العلاقات الدولية ؟

س11: ما هي نتائج مؤتمر وستفاليا 1648م على أوروبا ؟

أسئلة عديدة أخرى يمكن أن تضاف واعتقد أن الإجابة الصحيحة يجب أن تتجاوز الطرح السطحي والتقليدي للدراسات التاريخية إلى عمق جوهري يتصل بالعقدة التاريخية وحلها وإعادة تركيبها.

منهج الدراسة:

إن المنهج المستخدم في الدراسة هو المنهج السردي.

مجال الدراسة:

ينحصر مجال الدراسة في مؤتمر وستفاليا متناولاً أوضاع أوروبا قبل مؤتمر وستفاليا وعن أسباب المؤتمر ونتائجه على أوروبا، وسوف نتطرق إلى الدولة التي لعبت دوراً مهم سواء كانت في مرحلة الإصلاح الديني أو حرب الثلاثين عام (1618-1648م) وكذلك التي ساهمت بالخروج بمكاسب سياسية وعسكرية في مؤتمر وستفاليا (1648م) .

في نهاية هذه المقدمة ارجو أن أكون قد وفقت في التزام الحياد في تناولي لهذه الحقبة بقدر ما توفر لدي من مصادر، ومن هنا فمجال البحث والاجتهاد يظل مفتوحاً دائماً أمام كل من يريد أن يصنف معلومات أو يخالف رأياً من اجل الوصول إلى القدرة المعقولة من الحقيقة وعليه اعتبر هذا البحث جهداً متواضعاً يضاف إلى الجهود التي سبقته ويمهد الطريق لأبحاث أخرى تتلوه. وفي سبيل إعداد هذا البحث واجهتني

بعض الصعوبات منها أن دراسة مثل هذه الموضوعات ليست بالمهمة السهلة، وان الرأي لا يمكن أن يكون قاطعاً ونهائياً، كما لا يمكن الجزم باستنفاد كل المصادر المتعلقة بذلك واحتاج الأمر وقتاً طويلاً في تجميع مادة البحث المشتتة وخاصة وان المصادر دائماً ناقصة في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر في جامعاتنا الليبية.

وقد استدعى الأمر السفر إلى مدينة طرابلس عدة مرات ولم أتمكن من تجميع المادة إلا قليلاً بعد حصر كل المكتبات والجامعات الليبية، وقد شاءت الأقدار أن سافرت إلى جمهورية مصر وكذلك الأردن للعلاج فاستغليت الفرص في تجميع جزء من المادة البحثية.

وأخيراً أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان بالجميل لكل من مد لي يد المساعدة واسهم في انجاز هذا البحث.

الفصل الأول

أوضاع أوروبا قبل مؤتمر وستفاليا

المبحث الأول: دوافع وعوامل الإصلاح الديني وتأثيره في وضع ألمانيا السياسي والديني.

المبحث الثاني: موقف البابوية من حركة لوثر وتاثيرها على اوروبا

المبحث الأول

دوافع وعوامل الإصلاح الديني

وتأثيره في وضع ألمانيا السياسي والديني

المعروف للمطلعين على أوضاع أوروبا قبل مؤتمر وستفاليا بأنه حقبة طويلة تميزت بأحداث كثيرة كان لها تأثير القوى على الشعوب الأوروبية فقد أخرجت أوروبا من عزلتها واستفاقت من غفوتها.

أن هذه الحقبة طويلة جداً لا يسع المجال للتحدث فيها بكل تفاصيلها لذلك ننوه بأنه ما هو إلا إشارات وخطوطاً عريضة عن أهم الأحداث التي ميزت أوضاع أوروبا والتي اتخذت طابع الإصلاح الديني الذي يعتبر مرحلة انتقالية مهمة في تاريخ أوروبا الحديث والذي نتجت عنها تغيرات وإصلاحات وصراعات غيرت خارطة أوروبا.

دوافع وعوامل الإصلاح الديني:

أولاً: العوامل والدوافع المتصلة بالكنيسة (مساوئ الكنيسة):

[1] صلاحيات البابا:

كان من أهم تلك الصلاحيات إصدار البابا وإنفاذ وإلغاء القوانين وإصدار العفو عمن يريد من الأفراد، كما كان البابا هو المرجع الأعلى للمحاكم الكاثوليكية Caria والبابا هو الرئيس الأعلى في إدارة الكنيسة وفي تعيين الموظفين ونقلهم وإرسال السفراء إلى بلاطات الملوك، وتتويج أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة أو حرمانهم من حق التتويج وفرض الضرائب كضريبة القديس بطرس التي تفرض على كل عائلة كاثوليكية.

وقد أدى هذا الحال إلى ظهور محاولات تقييد سلطة البابا من قبل بعض رجال الدين والفكر ولاسيما بين عامي (1414–1448م) وانعقاد كونستانس وبال عام 1431م وقراره عامي 1438–1442م إلا أنها فشلت جميعاً فقد أصبح البابا أوتوقراطياً يمارس سلطة مطلقة.(1)

[1] – صالح حسن العكيلي محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة (1453-1789م) الوراق للنشر والتوزيع- عمان، 2006، ص52.

[2] البدع الدينية:

ابتدعت الكنيسة صلوات مختلفة تلائم الحالات التي يمر بها الإنسان فضلاً عن ابتداعها سلسلة من المراسيم الدينية المؤثرة أهمها (القداس) والى الأسرار المقدسة التي عدت جزءاً من اللاهوت الذي يعني دراسة الخالق وعلاقته بالبشر ومصير الآخرين والأسرار المقدسة، والتي لم يكن لأحد أن يغير هذه الأركان، إلا أن انتشار الحركة الكلاسيكة الإنسانية والتعليم الجديد المستمد من الحضارة اليونانية والرومانية القديمة، والاستكشافات الجغرافية والتقدم الاقتصادي والرأسمالية الحديثة، ونمو للطبقة الوسطى وطموح العوائل المالكة ومنازعاتهم وانتشار الوعي القومي غيرت كلها طرق تفكير الإنسان وطبيعة اتجاهه بالتمتع بالحياة والابتعاد عن تقاليد المسيحية المبنية على الزهد ونكران الذات؛ فانغمس الأمراء والملوك ورجال المال والتجار في ملاذ الحياة وجروا معهم كثير من رجال الدين، وأهمل بعض الباباوات شؤونهم الدينية

[3] تعصب الكنيسة الشديد ضد إعادة مسارها إلى الاتجاه الصحيح:

حاول بعض منتقدي الكنيسة إصلاح حالة الأخيرة، فلم يفلحوا أمام مقاومة القس والرهبان على الرغم من دعواتهم الصادقة للإصلاح والعودة إلى الروح الأصيلة للمسيحية والابتعاد عن ملذات الحياة وإدانة صكوك الغفران والتفرغ للشؤون الدينية. ولعل ابرز هؤلاء المصلحين جون يكلف الانجليزي الذي دعا إلى طلب الرحمة والغفران بالعودة مباشرة إلى الكتاب المقدس. وهناك جون هس البوهيمي الذي احرق عام 1415م في بوهيميا لدعوته إلى تأييد دعوة ويكلف ، فضلاً عن سافونا رولا الايطالي الذين أثرت أفكارهم في الجيل التالي من المصلحين الذين مهدوا الطريق للإصلاح الديني في القرن السادس عشر.

[4] تعصب الكنيسة ضد حرية الفكر:

لما كثرت سيئات الكنيسة ظهر أفراد وجماعات يطالبون بالإصلاح، إلا أن الكنيسة اتهمتهم بالإلحاد مما أدى إلى حرق معظمهم بعد مهاجمتهم لقواعد الكنيسة في القرن الثالث عشر، وبعد انتقاداتهم لأسرار الكنيسة تم شن الحرب ضدهم وعقدت لهم محاكم التفتيش، وفتحت لهم سجونها المظلمة وكما حرصت الكنيسة على تغيير الدين ما يخدم مصالحها؛ فمنعت الناس من قراءة الإنجيل من دون إشراف رجل دين، مما سبب سيطرة الكنيسة على عقول الناس وحياتهم، فقد كان رجال الدين يمثلون الفئة الوحيدة المتعلمة تقريباً في العصور الوسطى.[1]

---

[1] - صالح حسن العكيلي، محاضرات في تاريخ أوربا في عصر النهضة، المرجع السابق ، ص52−53 .

[5] فشل الحروب الصليبية:

كان للحروب الصليبية أثر في ازدياد التعصب الديني، فقد فشلت في تحقيق أهدافها كما أنها أدت إلى فقدان الكنيسة للكثير من قدراتها وطاقاتها فضلاً عن ما فقدته من هيبتها واحترامها لدى اغلب الأوروبيين كذلك اثرها في ازدياد التعصب الديني .

[6] الأبهة والترف المفرط للبلاط البابوي:

يرتبط ذلك بما فرضته الكنيسة من ضرائب مختلفة كان أبرزها ضريبة الواردات التي فرضت على الأسقف أو رئيس الدير حيث أوجبت عليه الكنيسة أن يرسل في السنة الأولى من تعيينه اكبر كمية من واردات ديره أو أسقفيته إلى روما، وهو ما يفسر لنا ما ظهر من بيع للمناصب الدينية والبذخ والترف الذي عاش فيه البلاط البابوي مما أثار الناس والطبقة البرجوازية والأمراء .

[7] الفساد الإداري في الكنيسة:

في الوقت الذي كان البابا يتولى فيه الأمور الدينية سعى بعضهم إلى تعيين أقاربهم كأمراء، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض الأساقفة الذين احتكروا بعض الوظائف لأنفسهم بغية الحصول على اكبر حصة ممكنة من الدخل.[1]

ثانيا: العوامل السياسية والاقتصادية:

1- أراد الملوك وضع حد لسلطة الكنيسة المتنامية سياسياً واقتصادياً بغية تثبيت الحكم الملكي المطلق الذي اتخذ أولئك صيغة لحكمهم كما حرصوا على تدخل الدول في شؤون الكنيسة بغية مصادرت ثروتها الهائلة وتحويلها إلى أملاك شخصية يمكنهم بها تمويل أنفسهم أو تقوية من يرغبون من أفراد المجتمع.
2- أراد الناس ورجال المال والتجار والأمراء والنبلاء من الدولة أن تسيطر على أملاك الكنيسة واستخدامها في مشاريع نافعة على أن تأخذ الطبقة الوسطى حصة الأسد.
3- انتشار الوعي القومي وحب الوطن وتأسيس الحكومات القومية في بعض البلدان الأوروبية، فقد اخذ الناس يتطلعون إلى إقامة كنائس قومية بعيدة عن السيطرة الأجنبية البابوية وإجراء الطقوس بلغاتهم القومية وليس باللاتينية.

---

[1] - صالح حسن العيكلي ، محاضرات في تاريخ أوروبا في عصر النهضة ، المرجع السابق ص 54-55 .

وأخيراً ينبغي ألا ننسى عاملاً أدى إلى حركة الإصلاح الديني تمثل بإسهام النهضة الأوروبية من خلال التمهيد لحركة الإصلاح الديني، فقد أدت أفكار النهضة وإبداعاتها وبعث التراث الكلاسيكي والتقدم العلمي والحركة الإنسانية واختراع الطباعة إلى فتح الآفاق الجديدة أمام الناس للتطلع إلى حياة جديدة بعيدة عن سيطرة الكنيسة، ولعل ابرز مظاهر النهضة فعالية في هذا المجال كانت الحركة الإنسانية لذا أصبح الجو مهيئاً لبدء حركة تستهدف إصلاح ما إعوج من تعاليم المسحية وتفتح أمور أخرى وإضافتها وتبسيطها ضمن ما عرف بحركة الإصلاح الديني [1].

4- أسهم الإنسانيين [*] بدور حيوي من خلال توعية الناس وتهيئة العقول لقبول فكرة الإصلاح، فقد انتقد هؤلاء الأوضاع السيئة والمتردية في الكنيسة ورجال الدين وأفسحوا المجال أمام النقد وحركة التغيير والإصلاح، وبذلك مهدوا بدورهم الطريق لانفجار حركة الإصلاح الديني [2].

والمعروف أن ألمانيا شهدت البداية الأولى في حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، ولاشك إن مجموعة من العوامل أدت إلى أن تكون ألمانيا أرضية خصبة لقيام أقوى حركة إصلاحية فيها، وهذا ما سوف نتطرق إليه من خلال الوضع الديني في ألمانيا وظهور المصلحين، وكيف أثرت هذه الحركة في وضع الإمبراطورية الرومانية، وتأثيرها أيضاً على أوروبا عموماً مثل انجلترا وفرنسا وسويسرا.

الوضع الديني في ألمانيا:

كانت ألمانيا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر الميلادي مكونة من اتحاد مجموعة من الإمارات والدويلات الإقطاعية المستقلة تقريباً [**]، والمدن الحرة والأراضي الخاضعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة، وكانت كل واحدة منها تعمل من منطلقات محلية ضيقة.

---

[1] – صالح حسن العكيلي ، محاضرات في تاريخ اوربا في عصر النهضة ، المرجع السابق، ص 54-55.

[*] – الانسانيين هم الذين رفضوا كل ما استجد من أنظمة وعادات وتقاليد مسيحية خلال القرون الوسطى ودعوا إلى الاهتمام بالتراث الكلاسيكي وتطبيق الأصول الحديثة والقواعد الانتقادية على التغيرات الدينية والنصوص القديمة.

[2] – مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج2، ط، دار أسامة، عمان، 2004، ص ص419-420-423.

[**] – وهذه الامارات كانت مقسمة إلى سبع دوائر ادارية وهي:

أ- فوانكوميا: وتشمل ورزبرج، بمبرج، بارين.

ب- بافاريا: وتشمل ميونخ، ورمنزبرج (واتسون)، وسالربرج.

ج- سوابيا: وتشمل باون، ستستجارت أو مزبرج ودوفيه زرتمبرج.

= د- الراين الاعلى: ويشمل فرانكفورت (ام مين) وكاسل ودرستاد، ويزبادن ومقاطعة ناسوا فليج هس ودوفيه اللواين وجزء من الاراس.

هـ- الراين الادنى ويشمل وسنفاليا جوليش وكليف والبلاتيان واسقفان كولون ونربير وماتيز.

و- سكسونيا السفلى: وتشمل مكلنبرج ويترتيمن ومجد برج ودوقيات برنزويك ولسونبرج وهو لشستين.

وعلى الرغم من المحاولات التي قام بها الإمبراطور مكسيمليان Maximilien (1493م-1519م) بهدف تقوية السلطة المركزية وإقامة مؤسسات إمبراطورية موحدة بكل أنحاء الإمبراطورية إلا أن هذه المحاولات لم تحقق النتائج المرجوة. وقد وقف الأمراء الألمان ضد محاولات الإمبراطوري في إقامة الجيش الإمبراطورية وفرض الضرائب الموحدة على أنحاء الإمبراطورية، أما حفيد مكسميليان الإمبراطور شارل الخامس (1519م-1555م) فقد كان ملكاً على اسبانيا في الوقت نفسه، وبذلك كان اكبر زعماء أوروبا، ولكن موقعه كملك لعدة بلدان (اسبانيا والأراضي المنخفضة وايطاليا)، فضلاً عن كونه إمبراطور للإمبراطورية الرومانية المقدسة منعه من إقامة سلطة مركزية في الإمبراطورية نتيجة لانشغاله بأحلامه التوسعية في إقامة إمبراطورية كاثوليكية عالمية وصراعه مع ملك فرنسا فرنسوا الأول وإهماله الشؤون الألمانية، كل ذلك أدى إلى استمرار حالة الانحلال والتدهور في الإمبراطورية ككل.

وكانت الإمبراطورية قد دخلت مرحلة الإنحلال منذ القرن الثالث عشر الميلادي وأخذ الأمراء الناخبون يلعبون دوراً أساسياً في انتخاب الإمبراطور، وأصبحت الإمارات الإقطاعية تختلف من حيث الحجم والتطور السياسي والاقتصادي.

ومن الجدير بالذكر أن الإمارات كانت في حالة عداء وصراع مستديمين بعضهما مع بعض، وتنامت بمرور الزمن سلطة الأمراء المحليين، فقد كان كل أمير يصك عملته النقدية الخاصة ويجمع الضرائب، ويشكل المحاكم الخاصة، كما كان يستغل ضعف السلطة المركزية ويعمل على تقوية مركزه والاستحواذ على الأراضي والمدن القريبة من إقليمه.

وكذلك كانت الهيئات الحاكمة في المدن الإمبراطورية تمارس السياسة نفسها لتقوية مركزها وتستحوذ على كل شيء في المدينة بحجة إدارتها، وكان من الطبيعي أن تؤدى هذه الحالة إلى تدهور الحياة الإقتصادية.[1]

فالحروب الإقطاعية بين الدويلات، وتنافس الأمراء في إقامة جيوشهم الخاصة والاهتمام بمظاهر الترف والأبهة في بلاطاتهم كانت كلها على حساب دافعي الضرائب والإتاوات من الفلاحين بالدرجة الرئيسية. في حين أخذت الكنيسة الكاثوليكية تحتل موقعاً خاصاً في الولايات الألمانية ومع بداية القرن

= ز- سكسونيا العليا:وتشمل بيزج وبرلين ودوقية بوميرانيا الغربية ومقاطعتي سكسونيا وميراندنبرج.

ديورانت ،قصة الحضارة ، ترجمة زكي محمود و عبدالحميد ونيس.ج(2) المجلد السابع (د،ت، 1981م ص 173 .

(1) خليل مراد وآخرون، دراسات في تاريخ اوروبا الحديث المعاصر، الموصل 1988، المرجع السابق، ص 50 .

السادس عشر كان كبار رجال الدين وعدد من الأساقفة في الولايات الألمانية يمثلون في الوقت نفسه الامراء الاقطاعيين.* [1]

وكان البابا مستبداً في إدارة الحكم وفرض قوته على عامة الشعب الألماني، فأرسل أتباعه من رجال الدين إلى ألمانيا يجمعون المال بعدة طرق فتمادى أتباع البابا في أعمال الرشوة والابتزاز، فكانوا يجمعون المال من المرشحين للتعيين في وظائف الكنيسة [2] وبيع صكوك الغفران[**] فضلاً عن الهبات والهدايا التي كانت ترسل إلى روما من قبل الأمراء والقوى المتنفذة والحجاج [3].

كما التجأ بعض من البابوات إلى إتباع سياسة جديدة بحجة الاستعداد لحرب صليبية قريبة ضد الدول العثمانية وغير ذلك من أساليب الكذب والخداع الذي كان البابوات يميلون إليه بهدف الحصول على الأموال ، وتحقيق مكاسب في حياتهم الدنيوية، وتحولوا خلال هذه المرحلة من التاريخ إلى جماعة من المترفين الذين لا يعنيهم أمر الكنيسة بقدر ما يعنيهم من تحقيق مصالحهم الخاصة ومصالح أقاربهم وذويهم[4]. لم يكف البرلمان في الولايات الألمانية عن التنديد بتلك المثالب ووسائل ابتزاز الأموال باسم الكنيسة ، وكان عامة الشعب يبعثون باحتجاجهم في رسائل متعددة إلى روما، ولكن دون جدوى [5].

ومن جهة أخرى أدى ضعف سلطة الإمبراطورية الرومانية المقدسة إلى تنامي السيطرة البابوية على البلاد، وكانت البابوية بتصرفاتها هذه تثير استياء أوساط واسعة من سكان ألمانيا، فكان الأمراء

---

[*] – الانسانيين الاقطاعيين هم الذين ينفذون ما يتماشى مع مصالح إماراتهم ويتجاهلون القرارات التي تتعارض مع مصالحهم، صالح حسن العيكلي، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة، المرجع السابق ص120.

1– خليل مراد واخرون ، دراسات في تاريخ اوروبا الحديث المعاصر ، المرجع السابق ، ص 99 .

[2] – ل.م هاتمان و. ح باركلاف، الدولة الإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة جوزيف نسيم يوسف (بيروت 1981م) ص ص 47–49: للمزيد انظر عبدالحميد البطريق وعبدالعزيز النوار، التاريخ الأوروبي الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

[**] – الصكوك الغفران هي جمع الأموال من المسيحيين عن طريق رجال الدين والمصارف وقيام الكنيسة بدورها في إنفاق هذه الأموال على الأمور الدينية والدنيوية لهم، وهي كفيلة بالتكفير عن ذنب الخاطئ ورأى لوثر أن هذه الظاهرة تحويلاً للدين تجارة دنيوية تافهة. انظر: مارتن لوثر. من شبكة الانترنت. الموقع WWW.blass.ws.com

[3] – خليل مراد وآخرون ، دراسات في تاريخ اوروبا الحديث المعاصر ، المرجع السابق ، ص 51.

[4] – محمد خرسان وآخرون، تاريخ الحضارة الإنسانية، دار الكندي للنشر (الأردن 1999م) ص 275، للمزيد انظر: البطريق ونوار، التاريخ الأوروبي الحديث، المرجع السابق،ص 93.

[5] – البطريق ونوار ، التاريخ الأوروبي الحديث، المرجع السابق، ص 93.

والنبلاء يحلمون بمصادرة ممتلكات الكنيسة، وفي الوقت نفسه راح الفلاحون ينظرون إلى كبار رجال الدين نظرة مشابهة لنظرتهم إلى سادتهم الإقطاعيين.

وهكذا اتخذت المسألة الدينية في ألمانيا صيغة شعبية عامة، وأصبحت مسالة إنقاذ ألمانيا من وجهة نظر البابوية مسالة قومية عامة، لذلك كان من الطبيعي أن تواجه أولى ضربات الإصلاح الديني ضد البابوية من الأراضي الألمانية.[1]

كما ركز الإنسانيين الألمان على دراسة اللاهوت والعقيدة المسيحية حتى أن النهضة اتخذت في ألمانيا طابع إصلاح ديني، فمنذ أواسط القرن الخامس عشر ظهرت في الجامعات الألمانية حلقات خاصة لدراسة التراث القديم، وكانت هذه الحلقات تنتقد الفلسفة المدرسية السائدة آنذاك في التعليم الجامعي، كما طالب الإنسانيون بتحرير العلوم من الفكر الكنسي، وتحرير الفكر من القيود الكنسية واهتموا بقضايا مهمه مثل التطور القومي للألمان ودور البابوية في تدهور ألمانيا.[2]

الإنسانيين الدين مهدوا للإصلاح الديني في ألمانيا هم:

أ- ديديه ارازامس Didie Erasmas (1466 – 1536م)

هو راهب كاثوليكي وأستاذ في العلوم الإنسانية[3] ولد في مدينة روتردام الهولندية [4] وقضى أعواماً طويلة في احد الأديرة، وبعد هجره لحياة الأديرة دعته انكلترا وفرنسا وألمانيا وعاش في كل هذه الممالك الثلاثة مدة من الزمن فترك أثراً عميقاً في أفكار أهلها، وكان لارازامس كباقي رجال النهضة ولعاً بالإصلاح الديني[5] إذ قضى أعواماً عدة في ألمانيا، وقد درس انتاجات الإنسانيين الألمان والكتابات القديمة، وكان فكر ارازامس مرتبطاً بالإنسانيين الألمان، ونال شهرة واسعة في ألمانيا وأدت ترجمته للإنجيل وكتابات آباء الكنيسة من اليونانية إلى اللاتينية دوراً بارزاً في الحياة الثقافية، وكتب بسخرية لنشر السلبيات وحياة الجهل والغباء، ووجه انتقادات لاذعة لكبار رجال الدين، وكشف الغطاء عن كثير

---

[1] – مراد وآخرون ، دراسات في تاريخ اوروبا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 50-51.

[2] – مفيد الزيدي، المرجع السابق، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج2، المرجع السابق ص 419-420-423.

[3] – شفيق الحوت مقدم كتابه، نفاق اليهود، لمؤلفه مارتن لوثر، ترجمة عجاج نويهض، ط1، دار الفكر، بيروت 1974، ص 35.

[4] – ابوعليه ، وياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 90.

[5] – على حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة، دار واسط، بغداد، 1990، ص 71.

من أغلاطهم الفاحشة واتهمهم بالجشع وحب المال، وإشعال الحروب وإهمالهم الروح والفكر الحر والعقل ونشر الخرافة، كما دعا هذا المفكر الإنساني إلى وضع أسس عقلانية والى ضرورة إصلاح الكنيسة من الداخل.[1]

ب- يوهان ريوخلن Eahen Reachlim (1455 – 1522م)

يعد ريوخلن من الإنسانيين في ألمانيا حاول التوفيق بين الأخلاق المسيحية ومفاهيم الحركة الإنسانية، وأكد على النظرة الايجابية للحياة الدنيوية، وتجنب الاصطدام مع الكنيسة، ووقف ضد الحركة البروتستانتية، ولكن مع ذلك دخل في جدل طويل مع رجال الدين في مدينة كولون ووقف إلى جانبه الإنسانيين الشباب الذين سموا أنفسهم (الريخاتيين*) [2]

ج- اولريخ فون هوتن Unich Von Hatten (1488–1523م)

كرس هوتن نفسه للحركة الإنسانية بعد هروبه من الدير واختار حياة بسيطة وقد أكد على حياة الإنسان وهاجم البابوية بعد زيارته لروما عام(1513م) وفضح البابا وقال انه من الفاسدين، وسخر من صكوك الغفران.

وكان هوتن على علاقة بحركة الفرسان(**)واعتقد بان هؤلاء سيعيدون للإمبراطورية قوتها، ودعم هوتن حركة مارتن لوثر كما دعا إلى طرد القسس من ألمانيا وفرض الإصلاح بالقوة ودعم انتفاضة الفرسان عام (1522م)[3]

هكذا مهد الإنسانيين الألمان فكرياً لحركة الإصلاح الديني في ألمانيا ووقع العديد من زعماء الإصلاح تحت التأثير المباشر لأفكارهم، منهم مارتن لوثر(1483–1546م) وسوف نتطرق إلى نشأته الاجتماعية وجهوده في الإصلاح.

---

1 – مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج2، ، المرجع السابق ص 423.

* – الريخاتيين هم جماعة من أصحاب العقول الإنسانية المتحمسة إلى التحرر الفكري التفوا حول آراء ريوخلن الإصلاحية الدينية. انظر هريرت فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة احمد نجيب هاشم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص ص 95–96.

2 – مراد وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 52.

** – الفرسان طبقة ذات نفوذ إقطاعي كانوا يعتمدون على قوتهم وتضامنهم للحفاظ على مراكزهم، ولكنهم في أواخر القرون الوسطى فقدوا ما كان لهم من هيبة وسلطان بعد انحلال العهد الإقطاعي.

3 – مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج2، المرجع السابق، ص 424.

مارتن لوثر:

ولد مارتن لوثر في العاشر من اكتوبر 1483م في قرية ايزلبين Eiselben في مقاطعة ساكس Saks بألمانيا[1] وكان لوثر من أسرة فلاحية فقيرة كان والده يعمل في احد مناجم النحاس، وقد تأثر لوثر بالحياة البسيطة التي كانت تعيشها أسرته مما كان له أثر كبير على حياته ونشأته. وقد تزوج خلال السنوات العشرة الأخيرة من حياته من الراهبة كاترين بورا Catherine Von Bara وأنجب منها ستة أبناء إلا انه رغم ذلك لم يتوقف عن دعم حركة الإصلاح الديني حتى وافاه الأجل خلال زيارته لقرية ايزلبين مسقط رأسه في الثامن عشر من يناير 1546م.[1]

تلقى لوثر تعليمه في مدرسة مجدبورج Magdbaurg التابعة لطائفة(إخوة الحياة العامة Brothers of Common Life)[*] قواعد اللغة والترتيل وأتم دراسته في ايزلبين[2] وبعد ان أكمل تعليمه في اللغة اللاتينية والأصول الدينية الكاثوليكية اتجه لدراسة الحقوق في جامعة ارفرت Arfort خلال الحقبة من (1501م–1505م) تلبية لرغبة والده الذي كان يحلم بان يرى ابنه رجل قانون لأن الحقوق آنذاك كانت من الموضوعات اللامعة والمؤثرة في الحياة الاجتماعية[3] ولكن لوثر لم يكمل دراسة الحقوق إذ كانت نوازع نفسه تهتف به إلى الحياة الروحية لا المادية [4].

نشأ لوثر شديد الذكاء[5] ملتهب الخيال، قلق الفكر يخامره الخوف من الذنوب والشيطان ورهبة العدل الإلهي، فعزم على الانخراط في تلك الرهبنة، لأنه كان حائراً شديد الارتباك من جراء شكوك أخذت تساور نفسه[6] لعله يجد في ذلك نجاة له من الخطايا وخلاصاً له من ذنوبه[7].

دخل لوثر في السابع عشر من يوليو 1505م دير الاوغستين Augntine في ارفورت[8]وانكب على أداء الصلاة وتعذيب النفس أملاً في الوصول إلى رحمة الله وعفوه[9] وبعد دخول الدير وهب نفسه للدراسة

---

[1] – مارتن لوثر والإصلاح الديني، الموقع: WWW.ALmelcompater.com

[*] – اخوة الحياة العامة هي جماعة دينية في علم اللاهوت الإنسانيات، وقد عملت على نشر الوعي الديني بين الناس حيث درس لوثر عندهم أصول المسيحية الأولى، عبدالعزيز محمد الشناوي، اوروبا في مطلع العصر الحديث، النشر والتوزيع المكتبة الانجلو المصرية ط 3، 1977م ص371 .

[2] – نورالدين حاطوم، تاريخ النهضة الأوروبية، دار الفكر الحديث، مصر 1964، ص 163.

[3] – ابوعليه، وياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 94.

[4] – شفيق الحوت مقدم كتاب افاق اليهود، ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر، بيروت 1974، ص ص 29–38.

[5]- Eltom, Op. Cit., P. 15.

[6] – نور الدين حاطوم ، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، المرجع السابق ، ص 163.

[7] – سليمان، علي حيدر ، تاريخ الحضارة الاروبية الحديثة ، المرجع السابق ، ص 74.

[8] – البطريق و نوار ، التاريخ الأوروبي الحديث، من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا المرجع السا بق ، ص 95.

[9] – حاطوم ، تاريخ عصر النهضة الأوروبية ، المرجع السابق ، ص 163.

ولاسيما دراسة الإنجيل وأفكار القديس اوغستين Augastian (354–430م) الذي وضع آراءه عن الديانة المسيحية في كتابه (محبة الله) ومن كتابات اوغستين اشتق لوثر أفكاره الأساسية وهناك لاح للوثر الفرق الشاسع بين المسيحية القديمة والكنيسة الرومانية في عهده.[1]

لقد أصبح لوثر في عام 1507م كاهناً، وخلال هذا العام نال شهادة الدكتوراه في علم اللاهوت ثم استدعى للتدريس في جامعة وتنبرغ Wiltenberg عام 1508م[2] والتي أسسها فردريك العاقل Frdrick أمير سكسونيا في عام 1502م ولم تلبث هذه الجامعة ان أصبحت المعهد الأساسي للتعاليم اللوثرية ومنافساً كبيراً للسوربون[3] ومن هذه الجامعة لمع اسم لوثر والتف حوله الرواد من تلاميذه المعجبين بآرائه وتأملاته ولاسيما في المسألة التي كانت تشغل باله مسألة (الخلاص) والتطهر من الخطايا.[4]

وعندما زار لوثر روما في عام 1510م لمدة شهر اطلع بنفسه على أخطاء ومساوئ الكنيسة الكاثوليكية[5] وركز مارتن لوثر في زيارته لروما على الأخطاء التي عبرت عنها بهارج الأحبار وترفهه والمظاهر العصرية والسياسية والعسكرية التي طبعت بها حياة رجال الدين في أوروبا، لذا فان لوثر لم يغضب بما وجده من فن ديني يخدم الدين ولا من تعاليم الكاثوليكية هناك، بل الذي جلب انتباهه انحراف رجال الدين عن بساطة المسيحية ونقاوتها الأولى ومن هنا كان انطباعه عن البابوية انطباعاً سيئاً اثر في نفسيته ودفعه بالتالي إلى النقد، ثم الثورة الدينية على البابوية بعد أن تشبثت بمواقفها.[6]

جهود لوثر في الإصلاح:

استمر لوثر في حالة اضطراب وقلق نفسي حتى توصل إلى وضع خطة لإصلاح العقائد الكنسية وأسلوب ممارسة طقوسها [7] التي بعثت في نفسه الهدوء والرضا والطمأنينة وهي أن الإيمان المطلق برحمة الله يطلق النجاة من عقابه وان الصلاة والعبادة بجميع طقوسها وأشكالها ليست كافية

---

[1] - عبدالعزيز محمد الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، المرجع السابق، ص371. (المزيد من التفاصيل عن أفكار اوغستين راجع: ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى توينبي، ترجمة، دار القلم، بيروت 1972)

[2] – مارتن لوثر، الثورة والإصلاح، من شبكة الانترنت. الموقع:WWW.ALamalcompater .com

[3] – حسين صبحي، محاضرات في التاريخ الأوربي الحديث، ج1، مطبعة شباب الجامعة، الإسكندرية 1975، ص 80.

[4] – البطريق ، ونوار ، التاريخ الأوروبي الحديث، من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، المرجع السابق ، ص 95.

– [5]G.R.potter The New Cambridgeodem History 1493-1520 Vol1 Cambridge 1964. P.83.

[6] – ابوعليه ، وياغي ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 93–94.

[7] – مار لوثر، ثورة الاصلاح الديني ،المرجع السابق ص 40.

للخلاص من الخطايا[1] وإنما هو الإيمان وحده والهداية الروحية التي منحها الله لكل نفس[2] في هذا الإيمان وحده سبيل الخلاص من الخطيئة لا في الأعمال التي كانت الكنيسة تنصح به مثل القداس وتكرار الصلوات والحج وزيارة العتبات المقدسة [3] تلك هي العقيدة التي اهتدى إليها مارتن لوثر من دراسته للكتاب المقدس ، ورسالة الرسول بولس إلى مسيحي روما وسميت بعقيدة "التبرير بالإيمان" Justipcalion by vait.[4]

ومن هنا أصبحت هذه الأفكار هي فلسفة البروتستانت أصحاب المذاهب الإصلاحية بعد أن تبنوا على عاتقهم ضرورة إصلاح الأخطاء والمساوئ التي دخلت في جسم الكنيسة الكاثوليكية نتيجة لسوء فهم وإدراك بعض الباباوات ورجال الدين من ذوي المناصب الدينية الكبرى.[5]

وفي عامي 1515–1516م اخذ لوثر يطرح على الملأ مبادئه وأرائه يعرض أفكاره الأساسية التي كان لها أثرها الكبير في تغيير مجرى التاريخ الأوروبي كله[6] ولم ينتبه احد إلى تعاليم لوثر إلى إن جاء عام 1517م وكان قد بلغ من العمر يوم ذاك أربعة وثلاثين عاماً؛ ففي هذه الحقبة حدث حادث رفع لوثر بغتة أمام الأنظار.[7]

فقد توجه الراهب حنا تتزل Hean Etzel وهو من أتباع الطائفة الدينية التي تسمى الدومينكان Cosder des Dominican [8] إلى ألمانيا عام 1513م من اجل بيع صكوك الغفران على الناس [9] وكان البابا قد خوله جمع الأموال لبناء كنيسة القديس بطرس روما.[10]

---

[1] البطريق، ونوار، التاريخ الأوروبي الحديث، من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا ،المرجع السابق ، ص 94.

[2] – بالمر، تاريخ العالم الحديث، ترجمة محمود حسين الامين، ج1، مكتبة الوفاء، الموصل (د.ت)، ص130.

[3] – سليمان علي حيدر، تاريخ الحضارة الاروبية الحديثة ، المرجع السابق، ص 74.

[4] – البطريق ونوار، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمرفينا ، المرجع السابق، ص 45.

[5] – ابوعليه وياغي ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص 94.

[6] – حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، المرجع السابق ، ص 94.

[7] – سليمان علي حيدر، تاريخ الحضارة الاروبية الحديثة ، المرجع السابق، ص 164.

[8] – الدومينيكية عرفت برهبانية الإخوة الواعظين في السادس عشر من كانون الثاني على يد الراهب الاسباني دومينيكو دي كوزمان Dominico De Cozman وكانت بدايتها في فرنسا وكان نشؤها كرد فعل لما وصلت إليه أوضاع الكنيسة الكاثوليكية من تدهور، حيث كثرت الحركات المناوئة لها والتي عرفت (بالهرطقات) تدعو للتقشف والعودة إلى سيرة القديسين الأوائل، ثم توسعت رهبنة الواعظين وامتدت إلى مناطق عديدة في العالم وكانت لها تأثيرات واضحة في التفكير الأوروبي خلال العصور الوسطى وعصر النهضة، الشناوي، اوروبا في مطلع العصور الحديثة المرجع السابق، ص548.

[9] – بالمر، تاريخ العالم الحديث ، المرجع السابق، ص 130.

[10] – الثورة على الكنيسة من شبكة الانترنت. الموقع: WWW.LL800.net

وقد بلغت ببتزل الجرأة وهو يبيع هذه الغفرانات أن يقول وهو يلوح بالصكوك إلى الأعلى (أن الرجل إذا ارتكب الخطيئة مع العذراء المباركة نفسها، فهذه الغفرانات أو صكوك البابا كفيلة بان تمنحه الغفران الكامل) [1]، ولما كان مارتن لوثر يعتقد إن النجاة من القصاص والعقاب لا تأتي إلا عن طريق الإيمان بالله وبرحمته فقط، فقد استنكر هذا العمل[2] انتهز لوثر فرصة اجتماع الناس على عاداتهم في كنيسة ورتونبورغ Wartenborg الحادي والثلاثين من تشرين الثاني 1517م عند الاحتفال بعيد الشهداء احد أعياد الكنيسة الكاثوليكية Allseints Dey والاحتفال في الوقت نفسه بذكرى تدشين كنيسة وقلعة ورتونبورغ ذاتها[3] فعلق إعلاناً بتالف من 95 بنداً على باب جامعة فيستبرج احتجاجاً على بيع صكوك الغفران وعلى قضايا أخرى كثيرة[4] وتلك البنود هي التي أشعلت جذوة الإصلاح الديني في ألمانيا.

وكان من جملة ما ورد في هذا الاحتجاج أن الكنيسة لا تستطيع أن تخلص أحد من العقاب، وإن المسيحي ينال المغفرة من الله عن طريق الإيمان بالله وليس من الضروري بالأعمال الصالحة وليس هناك ما يدعو لجعل الكنيسة واسطة بين الفرد وربه لان التائب الحقيقي ينال المغفرة من الله دون أن يحصل على غفران الكنيسة[5] ووجه لوثر الدعوة لكل من أراد المناقشة في هذه الآراء الدينية وفي حججه حججه التي علقها على باب كنيسة وتونبورغ[6] فضلاً عن أن البابا ليو العاشر Leah Y أراد أن يدعو لوثر إلى روما لكي يدافع عن نفسه في مسألة المواد التي أعلنها لوثر في الكنيسة ولكن فردريك أمير سكسونيا اقنع البابا بالعدول عن ذلك[7].

وخلال مناقشة لوثر مع يوحنا تتزل ومع غيره من العلماء مثل جون ايك Eck John المؤيد لكنيسة روما، نقد لوثر نظام الكنيسة وسلطتها العليا وتعاليمها وصرح بان الكتاب المقدس وحده هو القانون الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير العقائد وفي جميع المسائل المختلف عليها، كما أنكر أن المجالس الدينية منزهة عن الخطأ[8]، وان كل شخص مثقف باستطاعته أن يقرأ الإنجيل وهو حر في تفسيره عل حسب فهمه وإدراكه له، وان ليس للبابا الحق في احتكار تفسيره، وكذلك يجب إباحة الزواج

---

[1] – محمد فؤاد شكري ومحمد أنيس، أوروبا في العصور الحديثة من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1956، ص 64.

[2] – الشناوي ، أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، المرجع السابق، ص 374.

[3] – هربرت فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، المرجع السابق، ص 100.

[4] – صالح حسن العكيلي، محاضرات في تاريخ أوروبا في عصر النهضة المرجع السابق، ص 61.

[5] – صالح محمد محمد، تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية (1500–1784)، بغداد، 19814 ص 182.

[6] – ابوعليه وياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، المرجع السابق، ص 96.

[7] – صالح، محمد محمد ، تاريخ أوروبا من عصر النهضة ، المرجع السابق، ص 188.

[8] – شكري وأنيس، أوروبا في العصور الحديثة، المرجع السابق، ص 94.

للقسس وإخضاع رجال الدين للسلطة الزمنية [1] فوجد بيتزل أن فكر لوثر مستمد من فكر (حنا هس) [*] إذ لم يتراجع في الحوار عن شيء من إراداته، وقد لاقت أراء لوثر رضا الكثيرين، والتف حوله أتباع متحمسون في ألمانيا وهم الساخطون على تصرفات الكنيسة في روما وتحكم البابا في رقاب العباد وادعائه واسطة الغفران عند الله [2].

لذا تجمعت فئات واسعة من سكان ألمانيا حول شعارات لوثر في المرحلة المبكرة من حركته ولكن كل فئة كانت تنطلق من مصالحها الخاصة في المساهمة في هذه الحركة، فكان النبلاء يطمحون من خلا مشاركتهم توسيع ممتلكاتهم عن طري الاستحواذ على ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية والإنسانيين ساهموا في الحركة لتحرير الفكر الأوروبي من قيود الكنيسة ولتطلع إلى حياة جديدة أفضل[3] ، أما الفئات الفقيرة فكانت حركة الإصلاح الديني بالنسبة لها تعني إجراء تغييرات وجذرية في الكنيسة والنظام الاجتماعي ولا تهتم بالنقاشات الفكرية والدينية[4].

[1] – البطريق و نوار، التاريخ الأوروبي الحديث، من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا ، المرجع السابق، ص 96.

[*] – حنا هس ولد في بوهيميا عام 1370م ونال شهادة البكالوريوس في علوم الدين في عام 1393م ثم حصل على درجة الماجستير في الأدب، وتأثر بآراء جون ويكلف (1330–1384) المصلح الانجليزي حتى عده البعض تلميذا له، وقد اتخذ الوعظ والارشاد سبيله لمواجهة نواحي الضعف في الكنيسة وندد بحياة الترف وتحدى البابوية حين طرحت صكوك الغفران للبيع ثم اصدر المجمع الكنسي في مدينة كونستانس بإدانته لتهمة الهرطقة وأعدمه حرقاً وهو حي وتم تنفيذ الحكم بإحراقه حياً في السادس من عام 1415م، صالح حسن العيكلي، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة، المرجع السابق، ص129.

[2] – لوثر ولإصلاح الديني ، مستل من شبكة الانترنت ، WWW.al800.net المرجع السابق، ص 41.

[3] – مراد، خليل وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص 54.

[4] – مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ،ج2، المرجع السابق، ص 425.

المضامين الفكرية لرسائل مارتن لوثر:

في العام 1520م حشد لوثر الرأي العام بسلسلة من الرسائل الدينية التي تضمنتها معتقداته وأرائه الأساسية [1] سميت الرسائل الثلاث العظمى في حركة الإصلاح الديني.

كانت الرسالة الأولى عبارة عن نداء وجهه باللغة الألمانية إلى قادة الفكر من غير رجال الدين في ألمانيا حثهم في هذا النداء على الشروع في إصلاح الكنيسة بأنفسهم دون الاعتماد على رجال الكنيسة، وكان عنوان هذه الرسالة " إلى هيئة النبلاء المسيحيين من الأمة الألمانية بصدد العالم المسيحي ".[2]

وكانت الرسالة الثانية والتي وضعها باللغة اللاتينية عنوانها "حرية الرجل المسيحي" ووجه هذه الرسالة إلى البابا ليو العاشر على إنها نداء للسلام، وقال مخاطباً هذا البابا: " انك لا تستطيع أنت ولا غيرك أن تتكران ما يسمى بهيئة الكهنوت الروماني أفسد من بابل وسدوم، ولقد ظهرت احتقاري وانتابني الغضب لان الشعب المسيحي يخدع تحت ستار اسمك واسم الكنيسة ".[3]

كانت الرسالة الثالثة باللغة اللاتينية أيضاً ووجهها إلى رجال الفقه الديني اظهر فيها ضعف البابوات وتدهور اخلاق رجال الدين ، ووضع عنواناً لها " مقدمة عن الأسر البابلي الكنسي"[4] وفيها(شبه لوثر رجال الكنيسة أسرى بيد البابووات كما كان اليهود أسرى في بابل عند بنوخذ نصر)[5]

وختم لوثر هذه الرسائل بتعدد السيئات التي يجب التخلص منها لإنقاذ ألمانيا وتحسين اقتصادياتها، وكان يهدف في نظره إلى الدين إعلان ثورة اجتماعية تطلب تخفيف عدد الأديرة إلى عشرها، والسماح لمن يريد ترك حياة الرهبنة بتركها، وأشار إلى المضار الناتجة عن كثرة الأعياد التي كانت سبباً في تأخير أعمال الناس اليومية ،وطالب بالسماح لرجال الدين بالزواج مثل باقي الناس، وبإصلاح الجامعات، وإلغاء دراسة أرسطو من منهاجها.[6] وهذا يؤكد تأثر لوثر بالاسلام.

كان البابا ليو العاشر يعتقد في أول الأمر أن ما حدث عبارة عن شجار بين الرهبان، يمكن حله دبلوماسياً، لكن ظهر فيما بعد إن ما يقوم به مارتن لوثر هو تحدي سلطة الكنيسة والبابا رفض مبادئ

---

[1] – بالمر، تاريخ العالم الحديث،، المرجع السابق، ص 131.

[2] – فيشر، أصول التاريخ الاوروبي الحديث، المرجع السابق ،ص 101.

[3] – الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، المرجع السابق، ص 286.

[4] – فيشر، أصول التاريخ الاوروبي الحديث ، المرجع السابق ، ص 116.

[5] – صالح، تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية، المرجع السابق، ص 183.

[6] – سليمان،، تاريخ الحضارة الاروبية الحديثة ، المرجع السابق، ص75.

الكنيسة الكاثوليكية[1] ، وذهب لوثر في أفكاره إلى مدى ابعد من ذلك عندما طالب الناس بمحاربة البابوية وأنصارها. فقد قال: " مادمنا نلقي القبض على اللصوص، ونعدم قطاع الطرق، ونحرق المارقين، فلماذا لا نقاتل رؤوس الفساد هؤلاء الكرادلة والبابوات وكل الفئة القابعة في روما" [2].

[1] – صالح، ، تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية ، المرجع السابق، ص184.

[2] – مراد وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ،المرجع السابق، ص55.

المبحث الثاني

موقف البابوية من حركة لوثر وتاثيرها على الاوضاع في اوربا :

أجابت الكنيسة على حركة لوثر بان اصدر البابا ليو العاشر قرار الحرمان Cexcommaoication ضد لوثر في عام 1520م[1] والذي عد فيه البابا بان آراء لوثر بدعة مضلة، ومنح لوثر مدة شهرين للتراجع عن زيغه[2] وقد ختم البابا قرار الحرمان بختم من الرصاص الذي لا يستخدم إلا في القضايا الخطيرة[3] ثم كان رد فعل لوثر عليه أن هاجم البابوية والكنيسة الكاثوليكية بمقالات عنيفة وسمى البابا في إحدى مقالاته "عدو المسيح".[4]

ولم يكتف بذلك بل احرق قرار الحرمان علانية ، وبصورة رسمية أمام حشد من الطلبة في ساحة جامعة وتنبورغ[5] ثم كتب لوثر بعد ذلك لأحد أصدقائه يقول: "إن العاصفة التي آثارها البابا لن تهدأ إلى يوم الدين، لكن لوثر على الرغم من ذلك كله لم يكن يدعوا إلى الثورة الدموية؛ بل كان يعارض بشدة الإصلاح المفاجئ علماً أن الثورة الدينية كانت آتية لا محال فيها".[6]

ومع تفاقم الأمر طلب البابا من الإمبراطور شارل الخامس أن يلقي القبض على مارتن لوثر، وقمع حركته وتنفيذ قرار الحرمان الصادر ضده باعتباره مارقاً خارجاً عن المسيحية [7] ، وضع هذا الموقف لوثر في مركز الاهتمام لدى كل القوى المعادية للبابوية في ألمانيا، وكل القادة الأوروبيين، حتى أن ممثل البابا في ألمانيا كتب في تقرير له إلى روما إن "تسعة أعشار الألمان يهتفون بالحياة للوثر، أما العشر الباقي فينادي بالموت للبابوية على الأقل".[8]

---

[1] – شكري وأنيس ، أوروبا في العصور الحديثة من عصر النهضة، المرجع السابق، ص 95.

[2] – سليمان، تاريخ الحضارة الاروبية الحديثة ، المرجع السابق، ص75.

[3] – صالح ، تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية، المرجع السابق، ص184.

[4] – مراد وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص55.

[5] – البطريق، ونوار ، التاريخ الأوروبي الحديث، من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا ، المرجع السابق، ص97.

[6] – سليمان، تاريخ الحضارة الاروبية الحديثة، المرجع السابق، ص 76.

[7] – البطريق و نوار، التاريخ الأوروبي الحديث، من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا ، المرجع السابق، ص 97.

[8] – مراد وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ، المرجع السابق، ص 55.

وطالب لوثر الإمبراطور شارل الخامس أن يحرر روما نفسها من البابوية لمصادرة ممتلكاتها في الامارات ألالمانية، كما طمح شارل الخامس في الحصول على دعم من البابوية في إقامة إمبراطورية كاثوليكية كبيرة،لكنه رأى في قضية لوثر خطراً عليه. [1]

المجلس الإمبراطوري المنعقد في وورمز Worms * عام 1521م :

لقد طلب البابا من شارل الخامس عقد اجتماع إمبراطوري نسبة إلى إمبراطورية النمسا والمجر في المجلس (الدايت) الألماني في مدينة وورمز على أن يدعو لوثر للمثول أمام المجلس للمحاكمة في السابع عشر من ابريل عام 1521م[2] ، كما منح الإمبراطور شارل الخامس الأمان للوثر عند سفره إلى مدينة وورمز والإقامة فيها طول مدة انعقاد المجلس، ومن ثم العودة إلى بلدته دون أن يتعرض له احد بسوء.[3]

وعندما ظهر لوثر أمام مجلس الإمبراطورية الهابسبورغية [*] للمحاكمة طلب منه التبرؤ من أطروحاته والتنكر لها أمام السلطات الدينية والدنيوية ،رفض لوثر أن يتنكر ولو لسطر واحد من كتاباته ، وتمسك بمواقفه من الاستبداد البابوي الذي تعاني منه الأمة الألمانية[4] ولكنه أضاف قائلاً: "إن القرارات الصادرة باسم البابا قد خالفت الضمير المسيحي أحياناً، وان الأمة الألمانية تعاني كثيراً من نهب موظفي الكنيسة لأموالها".[5]

وبهذه العبارة لمس لوثر عصباً حساساً في تلك المرحلة إذ أن مزج قضية دينية مع إحساس قومي كان منتشراً بين الناس وبذلك أصبحت المشكلة الدينية أكثر عرضة للانفجار[6]، ولكنه اظهر استعداده للرجوع عن آرائه إن هم أقنعوه بحجج من الكتاب المقدس، أما إن لم يعلوا فهو باق على ما هو عليه [7] ، ، ولكن أمير سكسونيا فردريك قال: " إن خطاب الدكتور لوثر كان مؤثراً ".

---

1 – مفيد الزايدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ،ج2، المرجع السابق، ص 426.

* مدينة ألمانية تقع على نهر الراين، انظر الشناوي، اوربا في مطلع العصر الحديث المرجع السابق، ص 382.

2 – الثورة على الكنيسة من شبكة الانترنت. الموقع: WWW.H8000.net

3 – الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة ،ح1 ، المرجع السابق، ص 382.

** – الهابسبورغ ويقصد به الهابسبورغ Habasbaoy فهو مشتق من اسم رودلف هابسبورغ الذي انتخبه الأمراء الألمان عام 1273م وهو أكثرهم ملكاً وقوة يملك قسماً من الالزاس وعالي نهر اللورين وسويسرا، العيكلي، محاضرات في تلريخ اوربا في عصر النهضة، المرجع السابق، ص12.

4 – لوثر والإصلاح الديني، من شبكة الانترنت، الموقع: WWW.alwasag.com

5 – الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة ،ح1 ، المرجع السابق، ص 382.

6 – لوثر والإصلاح الديني، من شبكة الانترنت، الموقع: WWW.alwasag.com

7 – سليمان ، تاريخ الحضارة الاروبية الحديثة ، المرجع السابق، ص 76.

ثم سمح للوثر أن يرجع إلى موطن إقامته في مقاطعة سكسونيا لان الإمبراطور قد منحه الأمان السالف الذكر.[1]

موقف أمير سكسونيا من مارتن لوثر:

لم يكن من السهل القبض على لوثر ومعاقبته حتى لو لم يعطه الإمبراطور الأمان في الوقت الذي كانت الجماهير الحاشدة تهتف له ومعظم الأمراء كانوا يؤيدونه[2] ، لذلك لم ينفذ الرايخ[*] الألماني قرار بشان لوثر الذي بقي حراً طليقاً وفي شهر مايو1521م بعد أن تفرق أعضاء الرايخ اصدر الإمبراطور قرار يقضي باعتقال لوثر[3]، وضع كتبه على قائمة الكتب الممنوع قراءتها بل أحرقت في الساحات العامة مع مصادرة ممتلكات أعوانه[4] ، إلا أن أمير سكسونيا أحاط لوثر بسياج من الحماية وأخفاه في احدي قلاعه الحصينة في قصر ورتونبورغ Wartenboarg.

بقي لوثر مختفياً حتى شهر مارس 1522م ثم عاد بعدها إلى موطنه، وظل اعتقاله دون تنفيذ حيث كان الإمبراطور منشغلاً بحروبه ضد ملك فرنسا [5].

وكان لوثر قد استغل مدة اختفائه في ترجمة الإنجيل من اللغة اللاتينية إلى الألمانية فأخرج أسرار الدين من احتكار الرهبان لأنهم وحدهم من يتقن اللغة اللاتينية مستغلين جهل الناس اللغة في نقل تعاليم الدين لتحقيق مصالحهم الشخصية باعتبارهم المصدر الوحيد للتعاليم المقدسة[6]

---

[1] – صالح ، تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية ، المرجع السابق، ص 189.

[2] – نفس المرجع ، نفس الصفحة.

[*] – تسمية الرايخ جاءت في عام 962م مع تتويج القيصر اتو الأول الذي قام معتمد على رايخ منطقة شرق فرانكن ومنذ عام 1512م يعرف رسمياً باسم الرايخ الروماني المقدس للأمة الألمانية معبراً بذلك عن حقه في خلافة الإمبراطورية الرومانية القديمة من جهة، وعن الصفة المقدسة للقيصر من جهة أخرى استمر الرايخ أكثر من ثمانية قرون حتى عهد فرانس الثاني من الهابسبورج الذي تخلى عن عرش القيصرية في عام 1800 بناء على طلب نابليون بعد تفكك حلف الراين. انظر شبكة لانترنت. الموقع: WWW.batsachen- aebes- jeutschand.com

[3] – سليمان ، تاريخ الحضارة الاروبية الحديثة ، المرجع السابق، ص 76.

[4] – الأصولية المسيحية في الغرب، من شبكة الانترنت. الموقع: WWW.Nizwa.com

[5] – Helm، op، clt، .p.15

[6] – الحركة البروتستانتية من شبكة الانترنت. الموقع: WWW.alitijahalakhas.com

وكان لهذه الترجمة نجاح كبير لأنها كتبت بلغة بسيطة يفهمها عامة الشعب[1] وأصبحت هذه الترجمة تحفة في الأدب الألماني[2] كما ساعدت في تطور حركة الإصلاح الديني، فقد أعطت الألمان الفرصة للاستعانة ببعض نصوص الكتاب المقدس في دعم مطالبهم الاجتماعية والسياسية.[3]

ولكن الوحدة التي تحققت للحركة اللوثرية خلال السنوات الأولى أخذت تتفتت خلال الحقبة اللاحقة وبالذات عام 1521م عندما ارتبط لوثر بمصالح الأمراء الألمان [4] واخذ لوثر يؤكد ضرورة استخدام أساليب سليمة علنية للإصلاح الديني ويطالب بفصل الكنيسة الألمانية عن البابوبية ومصادرة ممتلكات الكنيسة وإقامة تنظيم كنسي جديد، وتقرب إلى الأمراء الألمان وابتعد عن الناس بشكل تدريجي[5]

تأثير إصلاحات لوثر الدينية:

لقد أحاطت الظروف السياسية والإقتصادية والاجتماعية في ألمانيا بالنظم الدينية الجديدة التي أحدثت انقلاباً كبيراً في التفكير الديني أولاً ، وانقساماً خطيراً داخل الكنيسة الكاثوليكية ثانياً [6] ، فاتخذت بعض الفئات الضعف وسيلة لتحقيق ما كانت تطمح اليه من إصلاح أحوالها؛ فقامت حركتان خطيرتان أدتا إلى التصادم بين الشعب والسلطة هما[7]:

1- حركة الفرسان Move des Chevuliers:

لقد كانت طبقة الفرسان تختلف عن بقية أفراد الشعب، فقد كان الفارس الواحد يمتلك ارض إقطاعية صغيرة يتوسطها بيته المبني على شكل قلعة، ولم يعترف بالسيادة إلا للإمبراطور نفسه، لم يكن لديهم من يمثلهم في الدايت الألماني، ومن هنا كان لابد لهم أن يعتمدوا على أنفسهم في قوتهم وتضامنهم حتى يتمكنوا من الحفاظ على مراكزهم ضد أمراء الولايات من جهة، وضد الإمبراطور من جهة أخرى إلا انه في أواخر العصر الوسطى غضبت هذه الطبقة بعد أن فقدت مكانتها الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تتمتع بها في عهد الأنظمة الإقطاعية.

---

[1] - Helm, Op. Cit., P. 117.

[2] - رونالد سترونبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، 1601-1977، ترجمة احمد الشيباني، ج3، مكتبة القارئ العربي، مصر 1994، ص 759.

[3] - مفيد الزايدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، المرجع السابق، ج2، ص 426.

[4] - مراد وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ، المرجع السابق، ص 56.

[5] - مفيد الزايدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ،ج2، المرجع السابق، ، ص 426.

[6] - مخزوم ،مدخل لدراسة التاريخ الاوروبي، المرجع السابق، ص 105.

[7] - البطريق ونوار، التاريخ الأوروبي الحديث، من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا ، المرجع السابق، ص 98.

وقد دفعهم سوء حالهم الذي وصلوا إليه إلى محاولة إظهار القوة والبطش، فكان بعضهم يبتز أموال التجار أو يهاجم الفلاحين وينهب محصول أراضيهم، وقد اشتد تذمرهم عندما وجدوا معظم مواردهم التي يحصلون عليها من الأرض تذهب إلى الكنيسة.[1]

رأت طبقة الفرسان أنها بأمس الحاجة إلى فرصة لإعلان الثورة على الأمراء والبطارقة، وكانت هجمات لوثر على الكنيسة مشجعة لهم[2] كما كان لوثر قد دعا الشعب الألماني إلى تطهير الأرض من مضطهد [3]وافساح شارل الخامس المجال أمام الفرسان للثورة عند خروجه من البلاد عام 1522م ومتوجهاً إلى اسبانيا [4].

وفي الثالث عشر من اغسطس 1522م ثار الفرسان على طبقة البرجوازيين والاكليركيين منتهزين غياب شارل الخامس، حيث كانت الأرض الغنية التي تمتلكها الكنيسة مباحة ويمكن الاستيلاء عليها بسهولة[5] فهاجموا الكنائس والأديرة ودمروا ما كانت تحتويه من تماثيل ونفائس، كما طردوا الرهبان من الأديرة.

وكان ابرز الفرسان التأئرين اولرخ فون هوتن Lirich von Haten الذي تزعم حركة التأييد القومي لمارتن لوثر ضد البابا باعتبار البابا غريباً عن الوطن يبتز الأموال من ألمانيا بدون وجه حق، وفي الوقت نفسه اتخذ الفرسان تلك الثورة وسيلة أخرى للتخلص من سلطة أعدائهم من الأمراء.[6]

وقد ساعد هوتن في حركته فارساً مشهوراً آخر اسمه فرانز فون سيكينجي Sichingen وهو الذي بدأ حرب الفرسان عندما نشب الخلاف بينه وبين رئيس أساقفة تريز الذي كان في الوقت نفسه ناخباً لها، لقد حاصر سيكينجي مدينة تريز وقذفها بمنشورات تحرض الناس على الانضمام إليه لخلع الحاكم الأسقفي، ولكنهم لم يلبوا طلبه.

---

[1] – شكري وأنيس ،اوروبا في العصور الحديثة من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية،المرجع السابق، ص 96.

[2] – حاطوم ، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، ، المرجع السابق، ص 170.

[3] – ديورنت، قصة الحضارة،المرجع السابق، ص 72.

[4] – سليمان، تاريخ الحضارة الاوروبية الحديثة ، المرجع السابق ، ص 77.

[5] – ديورانت، قصة الحضارة ، المرجع السابق ، ص 72.

[6] – البطريق ونوار، التاريخ الاوروبي الحديثة ، المرجع السابق ،ص 98.

وكان من الطبيعي على الأمراء مساندة الأسقف؛ فجمع كبير الأساقفة فرقاً عسكرية وقادها بنفسه، ثم قام بخمس هجمات مضادة اجبر سيكبنجي على رفع الحصار عن المدينة وتراجع إلى قلعته لاندشتول [1]

لذلك لم يقوى سبكينجي على الصمود أمام أسلحة الأمراء الحديثة وهزم ثم قتل تحت أنقاض قلعته، واضطر الفارس الآخر هوتن إلى الفرار إلى سويسرا حيث توفي بعد مدة وجيزة من عام 1523م [2] ، ومنذ ذلك الحين استبعدت حركة الفرسان كقوة وعامل أساسي ذات أهمية في ألمانيا.[3]

2- حركة الفلاحين(1524م-1525م) Move des Payseds:

كانت طبقة الفلاحين في ألمانيا تعاني بدرجة كبيرةٍ من سوء أحوالها الاقتصادية والاجتماعية، فهي تعاني أعباء ثقيلة من حياة السخرة وفرض الضرائب عليها من قبل الأمراء ورجال الدين والسادة الإقطاعين، فضلاً على أنهم كانوا محرومين من مزاولة أعمال أخرى والتي كان يتمتع بها الفرد العادي مثل حق صيد الأسماك والحيوانات.[4]

جاءت تعاليم لوثر في الوقت الذي تفاقمت فيه روح التمرد والسخط بين الفلاحين ضد السلطات الدينية ، لما كان لوثر يطالب بحرية الإنسان اعتقد الفلاحون آن الأوان قد حان لاستغلال مبادئه في الثورة على الأوضاع الراهنة.[5]

بدأت هذه الحرب من بحيرة كونستانس وسرعان ما انتشرت على نطاق واسع وبلغت عنفوانها في الأقاليم الواقعة في الجنوب الغربي من ألمانيا وفي الحوض الأعلى لنهر الراين وحوض الدانوب [6] وقد استولت جماعة من الثوار على السلطة الإدارية في بلدية هايلبرون وروتبرغ وفيرتسبورج، وأعلنت حكومة

---

[1] – ديورانت ، قصة الحضارة ، المرجع السابق، ص 72.

[2] – البطريق ونوار، التاريخ الاوربي الحديثة، المرجع السابق، ص 98.

[3] – شكري وأنيس، اوروبا في العصور الحديثة من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية،المرجع السابق ص 99.

[4] – البطريق ونوار ،التاريخ الاوربي الحديثة ، المرجع السابق ، ص 99.

[5] – نفسه المرجع ، نفس الصفحة.

[6] – رولان موستيه، تاريخ الحضارات العالم، ترجمة يوسف اسعد داغر، المجلد (4) منشورات عويدات (بيروت) 1966، ص 86.

الكومون في فراكفورت بأنها سوف تمثل سلطة المجلس البلدي والعمدة والبابا معاً، وفي روثنبورج طرد القساوسة من الكاتدرائية وحطمت التماثيل الدينية.[1]

وفي السابع والعشرين من مايو 1525م افرغ الناس مخازن النبيذ التي يملكها رجال الدين، كما تخلت مدن الفلاحين الخاضعة للسادة الإقطاعيين عن ولائها لهم، وطالبت المدن الخاضعة للأساقفة بإنهاء امتيازات رجال الدين، وثاروا غصباً مطالبين بتخصيص أملاك رجال الدين للأغراض الدنيوية وانضمت دوقية فرانكونيا إلى الثورة، كما أن الأساقفة تقبلوا الإصلاحات التي طلبت منهم من أمثال أساقفة سبير وبامبرج ورهبان دير كيمتين ودير هرتسفيلد [2].

وقد وضع الفلاحين بيانات بمطالبهم في مارس 1525م مطالبين بإلغاء رق الأرض وتحديد القيمة الايجارية للأراضي الجديدة [3] فضلاً عن تخفيض ضريبة العشر التي تعطى لسلطات الكنيسة ومنحهم الحق في اختيار رجل الدين في كل مجتمع من مجتمعاتهم، كما طالبوا بان يعاملوا على ضوء ما جاء في الكتاب المقدس الذي لا يفرق بين العبد وسيده [4] ، وقد صاغوا مطالبهم في وثيقة عرفت (ببنود (ببنود الاثنى عشر) [5].

هذا وقد انتهز احد زعماء الإصلاح ويدعى توماس مونزير Thomas Manzer الذي كان حاكماً للمدينة الألمانية زويكو Zwichau (وهي مدينة في سكسونيا على نهر مولد Malde) هياج الفلاحين ضد سلطة الحكومة فنصب نفسه زعيماً لثوار الفلاحين؛ حيث كان يحمل أفكاراً راديكالية[*] ذات طابع يساري اجتماعي، هاجم فيها الإقطاعيين والنبلاء ورجال الدين[6] كما آمن مونزير بالعقل الإنساني

---

[1] – ديورانت ، قصة الحضارة، المرجع السابق ، ص 84.

[2] – المرجع نفسه ، ص 89.

[3] – صلاح احمد هريدي، معالم تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية، الإسكندرية، مكتبة بستان المعرفة، 2008، ص 142.

[4] – البطريق نوار ، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى موتمر فينا، المرجع السابق ، ص 84.

[5] – ديورنت ، قصة الحضارة، المرجع السابق ، ص 79.

[*] – الريدكالية هم الذين يريدون تغيير النظام الاجتماعي من جذوره وتطلق كلمة الراديكالية بالمعنى الفلسفي على الذين يؤمنون بفكرة المشاركة الاجتماعية. احمد عبدالرحيم مصطفى وآخرون، موسوعة الهلال الاشتراكية، ص، 240،241.

[6] – الشناوي ،اوروبا في مطلع العصرالحديث ، المرجع السابق، ص 398.

وعدّه سيد الأشياء، وان المسيح إنسان عادي وبنى وآمن بعودة المسيح إلى الأرض، ولكنه فسر ذلك بثورة اجتماعية[1]

وعد مونزير الأمراء والفرسان مستغلين ومارقين عن الدين ويجب القضاء عليهم[2] كما دعا إلى اتحاد مسيحي شامل لتنفيذ هذه المهمة، وبعد طرده من سكسونيا جاب العديد من الأقاليم والبلدان[3] ، وكان ذلك بداية الانشقاق في حركة الإصلاح الديني في ألمانيا. لم تكن قيادة مونزير للثورة بشكل حازم؛ فقد فلتت زمام الأمور من يده وعمدت عناصر كثيرة إلى التطرف في مبادئ الثورة حتى طالبت بشيوعية الملكية وغالوا في أعمال العنف والقتل، وقابل الأمراء والنبلاء تلك الثورة بمثلها في ارتكاب الأعمال الوحشية والتعذيب في حق من تصل إليه أيديهم من الثوار[4] ، وقد تمكن الأمراء وجميع الفرسان مع القوات الإمبراطورية من قمع هذه الثورة فأخمدوها بدون رحمة في موقعة فرانكوسن Frankenhausen في شهر مايو 1525م واعدم توماس مونزير مع عدد من كبار قادة الثورة [5].

لقد اخفقت الحرب الفلاحية في تحقيق أهدافها لأسباب عديدة؛ منها عدم وجود قوى متكافئة بين الطرفين، وتشتت القوى الفلاحية مع زيادة الثقة بالأمراء والإقطاعيين، كما أن القوى المتحالفة مع الثورة من الفرسان وزعماء المدن خذلوها في أحرج أيامها، وكان لموقف لوثر المعادي للحركة الفلاحية عامل كبير في إخفاقها؛[6] فوصف الثوار بأنهم " الفلاحون المخربون الذين يسفكون الدماء " [7].

واخذ لوثر يخطب في الناس يدعوهم إلى الطاعة التامة للسلطات الحكومية ونبذ وسائل الشدة والقسوة، بل لقد حرض الأمراء وكبار الحكام على ضرب الفلاحين، وعدم التهاون في القضاء على هذه الثورة، وعدّ مبادئهم الاقتصادية والاجتماعية تطرفاً لا تمت بصلة لحركة الإصلاح الديني؛ لأنها تتعارض مع تطلعه إلى ضمان مساعدة الحكومة الألمانية في حركته الإصلاحية [8] ، وأدى هذا الإخفاق إلى تقوية نفوذ الأمراء والإقطاعيين وممارسة اشد أساليب الإقطاع، وتكريس تجزئة البلاد سياسيا.[9]

---

[1] – مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، ج2،المرجع السابق، ص 426.

[2] – مراد وآخرون، دراسات في التاريخ الاوروبي الحديث والمعاصر ،المرجع السابق ، ص 56.

[3] – مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، ج2، ص ، المرجع السابق ص، 426، 427.

[4] – البطريق ونوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى موتمر فينا، المرجع السابق، ص 100.

[5] – شكري، وأنيس ،اوروبا في العصور الحديثة، المرجع السابق، ص 100.

[6] – مراد وآخرون ، دراسات في التاريخ الاوروبي الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ،ص 57.

[7] – شكري وأنيس ، اوروبا في العصور الحديثة، المرجع السابق، ص 100.

[8] – البطريق ونوار ، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى موتمر فينا، ، المرجع السابق ، ص 100–101.

[9] – مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، ج2، المرجع السابق ، ص 427.

لقد هوت ألمانيا إلى الحضيض بسبب هذه النكبة التي أتلف فيها كثيراً من المال والرجال،[1] حيث لم تفقد ألمانيا من الأرواح والأملاك ما فقدته في ثورة الفلاحين إلا في حرب الثلاثين عاماً (1618م–1648م).

ويشير ديورانت في كتاب "قصة الحضارة" إلى أن أكثر من مئة وثلاثين ألف فلاح قتلوا خلال الحرب، أما الفلاحون أنفسهم فقد دمروا عدداً كبيرًا من القلاع والأديرة، وأقفرت القرى والمدن من ساكنيها وأصبحت خراباً، كما تشرد ما يزيد على خمسين ألف فلاح واخذوا يهيمون في الطرقات العامة وترملت آلاف النساء ويتم الآلاف من الصغار.[2] وهكذا استمرت العبودية في ألمانيا قروناً بعد هذه الحادثة دون أن تحقق ويلاتها [3].

المجلس الإمبراطوري المنعقد في سبير Spire عام 1529م:

وضع الإصلاح الديني نفسه أمام خطر جدي وكبير من جراء إخفاق الحركة الفلاحية، فقد حاولت الكنيسة مجدداً استعادة نفوذها وهيمنتها على ألمانيا، ولكن معظم الأمراء الذين تمكنوا حتى هذه الحقبة من الاستحواذ على مساحات من ممتلكات الكنيسة المصادرة وقفوا ضد هذا التوجه وسبب ذلك في اندلاع الحرب بين الإمبراطور والأمراء الكاثوليك ومن خلفهم البابوية من جهة، والأمراء اللوثريين البروتستانت[*] من جهة أخرى، وكان الحلف البروتستانتي للأمراء اللوثريين قد ظهر في ثلاثينات من القرن السادس عشر في ألمانيا[4] احتجاجاً على قرار مجمع سبير الثاني المنعقد عام 1529م الذي وقع عليه خمسة أمراء وحكام أربعة عشرة مدينة[5] ، والذي نص على أن تكون قرارات ورمز الصادرة عام 1521م ، نافذة المفعول والتي تقضي بإهدار دم لوثرالذي قمع ثورة اللوثريين وإلغاء الحرية التي منحت لأمراء في مجلس اسبير الاول عام 1526 في اختيار المذهب يردونه [6] .

---

[1] – سليمان، تاريخ الحضارة الاوروبية الحديثة، المرجع السابق، ص 78.

[2] – ديورانت، قصة الحضارة، المرجع السابق، ص 92.

[3] – سليمان، تاريخ الحضارة الاوروبية الحديثة ، المرجع السابق، ص 78.

[*] – أن مصطلح (البروتستانت) مشتق من الكلمة اللاتينية protestu وعني لغوياً الاحتجاج والرفض، وأول ما أطلق على اللوثريين ثم استعملت للدلالة على جميع مؤيدي حركة الإصلاح الديني ما فيه الانجليك وجماعة الجناح اليساري. للتفاصيل انظر جارت يوسف غنيمة، البروتستانت الانجليون، مطبعة الثائر، بغداد، 1998، ص 19–21.

[4] – مراد واخرون، دراسات في تاريخ اوربا الحديث المعاصر ، المرجع السابق ،ص57

[5] – الشناوي، تاريخ اوربا في مطلع العصر الحديثة ، المرجع السابق، ص 407.

[6] - شكري وانيس ، اوروبا في العصور الحديثة ، المرجع السابق ، ص 103.

واتخد المجلس قررا آخر ولابقاء على الكنائس اللوثرية في الولايات التي اختارت ذلك المذهب وسمح لها بممارسة عملها في نطاق العقائد الجديدة، وعلى أن يقام القداس وفق النظام الكاثوليكي[1].

أزعجت تلك القرارات الأمراء اللوثريين لان اختيارهم للمذهب الجديد منحهم الفرصة للاستيلاء على أراضي الكنيسة الكاثوليكية في بلادهم ومعنى تنفيذ قرارات سبير الثاني أن يحرموا من الثروة التي حصلوا عليها[2]، (ومن هذا الاحتجاج اشتق أنصار الحركة اللوثرية اسم البروتستانت أي المحتجون Lesprotesents) وهي التسمية التي التصقت مند مجمع سبيرا الثاني في سنة 1529م حتى الوقت الحاضر[3].

حلف شمالكد * Laligue de smalkalde:

أن انشغال الإمبراطور آنذاك بالصراع مع فرنسا والدولة العثمانية أبعده عن الاهتمام الجدي بتحالف الأمراء البروتستانت الذين استغلوا ذلك بدورهم لتوسيع ممتلكاتهم على حساب أراضي الكنيسة، لكن الإمبراطور بدأ بعد توقيع الصلح مع ملك فرنسا عام 1546م يتفرغ لمحاربة الأمراء البروتستانت، استعان في صراعه معهم بجيش اسباني ضم أربعين ألف شخص واندلعت الحرب بين الطرفين وهزم الإمبراطور الأمراء اللوثريين في موقعة مهبلرج عام 1547م واستسلموا للإمبراطور الذي كان يعمل على فرض الكاثوليكية من جديد على كل ألمانيا، ويحاول تقليص نفوذ الأمراء، وقد أثارت إجراءاته هذه استياء البروتستانت والكاثوليك الذين أثار تنامي قوة الإمبراطور سمي (**حلف شمالكد**) ودعمه البابا خشية من الإمبراطور(*)، وكان ذلك سراً.[4]

---

[1] – البطريق ونوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى موتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 103.

[2] – الشناوي، تاريخ اوروبا في مطلع العصر الحديث، المرجع السابق، ص407.

– حلف شمالكد هي مدينة تقع في مقاطعة هس Hesse وقد تم هدا الحلف منا ناخب سكسونيا وابنه وحفيده وكان من بين الدوقات والأمراء الذين انضموا لحلف شمالكد: دوق برانزويك، ودوق لينزبرج، امير انهالت، كونت نانسفلد، ومن المدن التي انضمت تباعا إلى الحلف: ستواسبورج – أولم Ulm – كونستانس Constance – ريلنجن Reullingen – ممنجن Memmingen – لنداو Lindau – براخ Biberech – استي ليوبيك Lubeelc – مجدبرج Magdebory – بريمين Bremn– برنزويك.– brenzwuk الشناوي ، تاريخ اوروبا في مطلع العصر الحديث المرجع السابق ،ص407.

[3] – مراد وآخرون ، دراسات في تاريخ اوربا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 57.

* كان البابا بول الثالث يبادل الإمبراطور شارل الخامس الكراهية وعدم الثقة وعلى الرغم من انتصار الإمبراطور في موقعة مهلبرج على البروتستانت كان هذا في مصلحة الكنيسة الكاثوليكية في روما، إلا أن البابا كان يخشى من أن نشوة الانتصار قد تدفع الإمبراطور إلى تدعيم نفوذه في شبه الجزيرة الايطالية ومحاولة إخضاع الكنيسة لسيطرته. البطريق ونوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا،المرجع السابق، ص ص، 107.

[4] – مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر،ج2، ، المرجع السابق ص 427.

صلح اوجزبرغ الديني La paix Religieuse Augsborg عام 1555م:

عندما شن الأمراء هجوماً مفاجئاً ضد الإمبراطور وأوقعوا به الهزيمة عام 1555م وهرب على أثرها إلى مقاطعة كارنتيكا حيث كان شقيقه حاكماً عليها.[1]

وبعد مفاوضات طويلة بين شارل الخامس والأمراء وبواسطة شقيقه فرديناند الذي منح سلطات واسعة عقد مع اللوثريين صلح اوجزبرغ عام 1555م وبمقتضى هذا الصلح حصل اللوثريين على حرية اختيار لمذهب لسكان إمارة[2] هذا وقد تنازل شارل الخامس عن عرش الإمبراطورية في العام نفسه بعد انهيار مشاريعه وأحلامه التوسعية وخلفه على العرش شقيقه فرديناند.[3]

وهكذا بقيت أسباب الصراع تتحرك في الوسط الألماني، وكانت ألمانيا بحاجة إلى مرحلة أخرى من الصراعات والحروب لوضع نهاية لمشاكلها الدينية، ومن المعروف أن الأرض الألمانية شهدت الجانب الأكبر من وقائع واحدة من أشرس الحروب في التاريخ، ونقصد بها حرب الثلاثين عاماً التي أثرت بصورة سلبية في التطور اللاحق لألمانيا.[4]

بانهيار أحلام شارل الخامس استمرت التجزئة السياسية الاقتصادية في البلاد وضعفت السلطة المركزية وتنامت سلطة الأمراء والإقطاعيين الألمان واكتسب الصراع بعداً دينياً وسياسيا.[5]

لقد انعقد المجلس الإمبراطوري في مدينة اوجزبرغ لتقرير الصلح مع الأمراء البروتستانت، وكان قد تم الاتفاق مع الأمراء البروتستانت على معظم نقاط الصلح بعيداً عن مدينة اوجزبرغ وعن جو المجلس الإمبراطوري، حيث رفض الأمراء البروتستانت الذهاب إلى مدينة اوجزبرغ وعقد اجتماعات خاصة بهم في مدينة نورمبرج في مقاطعة سكسونيا ووضعوا بياناً بمطالبهم ورفضوا الفكرة القائلة بانتظار لعقد مجلس وطني أو مجلس عام، كما كان يقترح الإمبراطور من قبل.

وعلى أية حال انعقد المجلس الإمبراطوري (الدايت) في اوجزبرغ، وهو ما عرف باسم (صلح اوجزبرغ الديني)[1] The Religious، وقد توصل هذا المجلس إلى صلح ديني كان أهم ما جاء فيه المبدأين التاليين:

---

[1] – مراد وآخرون ، دراسات في تاريخ اوربا الحديث المعاصر، المرجع السابق ، ص 58.

[2] – حاطوم ، تاريخ عصر النهضة الاوروبية،المرجع السابق ، ص 172.

[3] – مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، ج2، المرجع السابق، ص 427.

[4] – مراد واخرون ، دراسات في تاريخ اوربا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 58.

[5] – حاطوم ، تاريخ عصر النهضة الاوروبية، المرجع السابق، ص، 172–173.

أولاً: تقرير المبدأ الذي نص عليه مجلس سبير الأول (1526م) من إعطاء الحرية لكل أمير أن يختار المذهب الذي يروق له في إمارته، وعلى الرعايا الذين يريدون البقاء حيث هم أن يدينوا بالمذهب المختار؛ وإلا فلهم الحق في مغادرة الولاية التي يعيشون فيها إلى الولاية التي تدين بالمذهب الذي اختاروه لأنفسهم، ولكل شخص منهم الحق في أن يأخذ معه أمواله دون التعرض له بأي أذى.

ثانياً: تبقى أملاك الكنيسة الكاثوليكية التي أخذها البروتستانت قبل عام 1552م في أيدي من استولى عليها من رجال الدين أو غيرها، وأما الأملاك التي فقدتها بعد عام 1552م فيجب ردها إلى الكنيسة الكاثوليكية في روما.

والواقع أن صلح اوجزبرغ كان من الناحية الدينية انتصاراً كبيراً للبروتستانتية ولكنه أدى إلى تجزئة ألمانيا من الجهة السياسية والدستورية وبعثرتها إلى دويلات كثر منفصلة بعضها عن بعض، وبوجه عام سادت اللوثرية في الشمال وفي دوقية فودتمبرج في الجنوب، بينما سادت الكاثوليكية في الجنوب – باستثناء فودتمبرج وبعض مدن قليلة – وفي حوض الراين وفي ممتلكات الإمبراطورية التي امتدت سنة 1555م إلى شمال الأراضي المنخفضة (هولندا).

ولم تقتصر حركة الإصلاح الديني على ألمانيا، بل تسربت منها إلى البلاد الاسكندينافية؛ ففي الدانمرك حيث تأسست بها أول كنيسة قومية عام 1560م وترجم الإنجيل إلى اللغة الدانمركية في النرويج التي كانت في ذلك الوقت تابعة للدانمرك. وفي السويد دخلت البروتستانتية في عهد جوستاف ناسا ملك السويد (1523–1560م (وتأسست هناك الكنيسة للسويدية بعيداً عن كاثوليكية روما. وكذلك تسرب المذهب البروتستانتي إلى المقاطعات السويسرية ثم قامت حركة الإصلاح الديني في كل من انجلترا وفرنسا لأسباب سياسية واجتماعية ودينية. أما ألمانيا فقد استرخت حقبة من الزمن من الحروب الدينية الأهلية رغم أن كلاً من الفريقين الكاثوليكي والبروتستانتي لم يعتبر صلح اوجزبرج نهاية المطاف

[1] – زينب عصمت ، راشد ،تاريخ اوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر حتي نهاية القرن الثامن عشر، المرجع السابق ، ص، 131، 134.

أو الحل النهائي للمشكلة، ولكنه على أية حال وضع حداً للنزاع المسلح ثلاثاً وستين سنة عادت بعدها الحرب الدينية في صورة دولية اشتركت فيها كل من ألمانيا والدانمرك وفرنسا والسويد، وهي الحروب المشهورة في التاريخ باسم حرب الثلاثين عام (1618م–1648م).[1]

إن معاهدة اوجزبرج قضت على مسعى شرلكان* في توحيد الكنيسة في ألمانيا إذ لم تكن هذه المعاهدة فاصلة إذ كان فيها أسباب نتج عنها مشكلات في المستقبل، وكانت سبباً في فشل هذا الصلح، ومن أهم هذه الأسباب:

1- **السبب الأول:** إنها لم تمنح الحرية الدينية للأفراد، بل تركت الفصل في أمر دين الفرد إلى حاكمه الذي قد يكون على جانب عظيم من الظلم الجور.

2- **السبب الثاني:** خاص بأمر أملاك الكنيسة وهو أن تعيين سنة 1558م دون غيرها لم يظهر للكثيرين انه من العدل في شيء فاثأر غضبهم، على أن أعظم نقص فيها أنها لم تذكر شيئاً عن أتباع كالفن الذين ما لبثوا أن فاقوا جميع أتباع الإصلاح في نشاطهم وعددهم، ومع ذلك لم ينالوا بهذه المعاهدة الحقوق التي نالها أتباع لوثر، وقد اغتنم الكاثوليك فرصة ما كان بين هذين الحزبين من الشحناء فأوقدوا نار الفتنة والتنازع بينهما.

وفضلاً عن نقص هذه المعاهدة قامت بعد صلح اوجزبرج مباشرة حركة لمقاومة الإصلاح، رجعت فيها كثير من البقاع الأوروبية للمذهب الكاثوليكي، فاشتد بذلك أزر أتباع الكنيسة واظهروا سخطهم على معاهدة اوجزبرج. ولذلك كانت مراحل الخلاف الديني تغلي في ألمانيا في الستين سنة التي تلت تلك المعاهدة، وكان لابد لألمانيا من شق غمار حرب هائلة بحرب الثلاثين سنة قبل أن يفصل في المسائل الدينية نهائياً.[2] ولم يكن بإمكان صلح اوجزبرج وضع حد لهذا الصراع خاصة انه أهمل جماعات دينية أخرى كالكالفينين(*) الزوينجلي (**) التي كانت تشعر بالغبن والاضطهاد، ولم يقتصر

---

[1] – البطريق، نوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى موتمر فينا، المرجع السابق ص، 109–110.

* شرلكان يعني شارل الخامس رئيس أسرة الهبسبورج وحاكم اسبانيا والأراضي المنخفضة ونابلي وصقلية.

عمر الاسكندري وسليم حسن، تاريخ أوروبا الحديث وأثار حضارتها، دار المعارف بشارع الفجالة مصر، سنة 1917، ص 75–76.

[2] – عمر لاسكندري ، وسليم حسن، المرجع السابق ص 67 .

* – الكالفينية جماعة دينية نسبة إلى المذهب الذي يشير جون كالفن (1509–1564م) الشناوي، وروبا في مطلع العصر الحديث المرجع السابق، ص493.

** – الزوينجلي جماعة دينية تأثروا بآراء اولريك زوينجلي المصلح السويسري. الشناوي، وروبا في مطلع العصر الحديث المرجع السابق، ص461.

الإصلاح الديني على ألمانيا وحدها، بل انتشر في بلدان أوروبية أخرى خاصة سويسرا التي كانت تمثل الخطوة الثانية المهمة للإصلاح الديني.[1]

[1] – مراد وآخرون ، دراسات في تاريخ اوربا الحديث المعاصر ، المرجع السابق ، ص 51.

الفصـــــل الثاني
الاوضاع الدينية وثورة الاراضي المنخفضة

المبحث الاول: الاوضاع الدينية في انجلترا – سويسرا – فرنسا

المبحث الثاني : وضع الكنيسة الكاثولية وثورة الاراضي المنخفضة

المبحث الاول

الأوضاع الدينية في: انجلترا - سويسرا - فرنسا

اولا : الوضع الديني في انجلترا:

لقد ارتبطت حركة الإصلاح الديني في انكلترا بعدة عوامل أهمها أن حالة رجال الدين في انجلترا لم تكن بأحسن من غيرها في أوروبا فيما يختص بارتكاب الفضائح والرذائل والإقبال على الملذات والانغماس في المشاكل الاجتماعية المختلفة، وفي سياسة تبذير الأموال التي كانوا يجمعونها بشتى الطرق، كما أن انكلترا شهدت منذ القرن الرابع عشر بروز أفكار إصلاحية بدأها المصلح (ويكلف) بمعارضة شديدة بدفع الضرائب للبابا بحجة انه يسيء استعمالها، فضلاً عن أن مبادئ (لوثر وكالفن) وبقية المصلحين كانت قد وصلت إلى انكلترا عن طريق المبشرين البروتستانت.[1]

إن سياسة البابوات الدولية قد تعارضت مع التطلعات القومية، كانت سياسة البابا ورجال الدين في فرض الضرائب وفي المسائل القضائية تتعارض مع الروح القومية ونية الملوك في تثبيت السلطة في بلادهم، حيث أن الشعب الانكليزي يحبذون تأميم الكنيسة في بلادهم، ويرغبون في وضع حد لسلطة ونفوذ رجال الدين والذين كانوا عبارة عن هيئة منفصلة على شكل دولة داخل دولة لا يتبعون سوى رياستهم ولا ينفعون شيئاً إلا لخزائنهم، حيث كانت النزعة القومية في انكلترا تتعارض مع النزعة العالمية للكنيسة الكاثوليكية.[2]

لقد وقفت الملكية الانجليزية ضد حركة الإصلاح منذ البداية، حتى أن هنري الثاني الذي قاد حركة الإصلاح في بلاده فيما بعد رد على لوثر وأرسل كراساً إلى البابا عام 1521م بهذا الخصوص يفند مبادئها ويظهر عقمها وكان بعنوان (دفاعاً عن الأسرار المقدسة السبعة)، وادعى هنري الثاني انه مؤلف الكراس، لكن ظهر فيما بعد أن الكاتب الحقيقي للكراس هو المفكر الانجليزي المعروف (توماس مور) مؤلف كتاب (يوتوبيا)[3] .

---

1 – مخزوم ، مدخل لدراسة التاريخ الاوروبي، المرجع السابق ،ص 135.

2 – فردريك هرتز، القومية في التاريخ والسياسة، ترجمة عبد الكريم احمد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)، ص 137.

3 – مراد وآخرون ، دراسة في تاريخ اوروبا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 62 .

وسرعان ما اقنع حكام البلاد بان الإصلاح في الكنيسة الانجليزية مهم في تعزيز الملكية ولذلك يتميز الإصلاح في انكلترا بان الملكية هي التي قادته بعكس حركات الإصلاح التي قامت في العديد من البلدان الأوروبية الأخرى [1].

ولقد كان الخلاف الظاهري الذي أدى إلى انفصال الكنيسة الانجليزية عن البابوية هو عدم موافقة البابا كلمنت السابع Clement (**1534م–1523م**) على طلاق كاترين اراغون Catharine of Argon من زوجها هنري الثاني(1509م–1547م) [2] ، ورداً على ذلك قرر البرلمان الانجليزي عام (1534م) فصل الكنيسة الانجليزية عن كنيسة روما، وأصبح ملك انكلترا رئيساً أعلى للكنيسة بدلاً عن البابا، ولكن الطقوس الدينية الكاثوليكية أبقيت كما هي، وهكذا كانت الكنيسة الانكليزية وسطاً بين الكاثوليكية والكنائس البروتستانتية [3].

وتعد الأسباب الاقتصادية والاجتماعية واحدة من أسباب انفصال الكنيسة الانجليزية عن روما؛ إذ كانت الكنيسة تبدو بطبيعتها عبئاً ثقيلاً على النظام الاقتصادي والاجتماعي لأفراد الطبقة الوسطى الذين يتطلعون للإستحواذ على أراضي وممتلكات الكنيسة الكثيرة، فضلاً عن الطبقة البرجوازية في إقامة الكنيسة لا تكلف موارد باهظة [4]. وكما اصدر البرلمان الانجليزي في الثاني عشر من تشرين الأول 1534م (قانون السيادة) الذي أعد أهم القوانين في تكريس الانفصال ومصادرة أملاك الكنيسة لحساب العرش[5] وعمد هنري بعد إعلان هذا القانون ، وفرض يمين هؤلاء الولاء على رجال الدين له ولقانونه، إلى إعلان عهد الإرهاب الذي ذهب ضحيته كثير من المعارضين ومنهم الأسقف وتوماس مور اللذين رفضا الموافقة على أداء القسم ويعترفان بجعل هنري رئيساً للكنيسة الانجليزية [6].

سارت حركة الإصلاح الديني منذ بدايتها على يد الملك ومشورة البرلمان، وقد عمل هنري الثاني على مشاركة الدوائر السياسية الكبرى في تحمل المسؤولية معه، ورأت تلك الدوائر الممثلة في أعضاء المجلس ونواب المجلس أن تكون له معيناً وظهيراً؛ لذا كان البرلمان هو الذي قام بوضع التشريعات

---

[1] – الزيدي ، تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، ج2، المرجع السابق ، ص 430.

[2] – مخزوم ، مدخل لدراسة التاريخ الاوروبي، المرجع السابق ، ص 135.

[3] – مراد وآخرون ، دراسات في تاريخ اوربا الحديث المعاصر ، المرجع السابق ، ص 63.

[4] – آل رواس، التاريخ الانجليزي، ترجمة محمود مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1946، ص 74.

[5] – نعنعي ، اوروبا في بعض الازمنة الحديثة والمعاصرة ، المرجع السابق ،ص 24–25.

[6] – مخزوم ، مدخل لدراسة التاريخ الاوروبي ، المرجع السابق ، ص 138.

اللازمة وصيانتها والموافقة عليها لذا سمي هذا البرلمان ب (برلمان الإصلاح الديني) The Re for Mation Parlianent (أو برلمان السبع سنوات) [1].

كما صدرت قوانين أخرى فرضت خضوع الانكليز للكنيسة الجديدة وهي الكنيسة الانجليزية، وكان الموت هو عقوبة الانكليز الذين لا يخضعون لها، ومنع هنري الثامن الناس من قراءة الكتاب المقدس بشكل فردي خوفاً من نمو المعارضة الشعبية، وكان ابرز رواد الإصلاح في انكلترا توماس كروموبل Thomas Cromwell [*] سكرتير الملك هنري الثامن وتوماس كرامر Thomas Cramer [**]رئيس أساقفة كنتربري الذي تسلم منصبه بعد فصل الكنيسة الانجليزية عن روما [2].

لقد استمرت سياسة الملك الاضطهادية ضد الهراطقة المتهمين بعدم الاعتراف بسلطة الملك الانجليزي على الكنيسة ورجال الدين، ومع ذلك فإن المناطق الشمالية والزراعية على الاصلاح بوجه العموم لم تتعارض مع البروتستانتية الجديدة، كما تعاطف معها أهل المدن فانضم إليهم الرهبان المعارضين الذين طردوا من ديارهم بعد أن أغلقت حيث تكونت بمرور الوقت ضد سياسة الملك المطلقة مجموعة ثائرة ما لبث الملك هنري أن انقض عليها واحدة بعد الأخرى[3] ، وفي سنة 1547م مات هنري الثامن وخلفه ابنه ادوارد السادس[4] وهو لم يزل في العاشرة من عمره فأصبح خاله وصياً على العرش.

لقد تأثرت انجلترا في عهد ادوارد السادس باللوثرية والكلفينية حتى أصبحت بروتستانتية إلى حد كبير[5] وخاصة الكالفينة، ولكن بعد وفاة ادوارد أصبحت ماري تيودور Mary (1516–1558م) ابنة هنري الثامن من زوجته الأولى كاثرين اراغوان ملكة على البلاد، وقد تربيت تربية كاثوليكية متزمته وتزعمت الحزب الكاثوليكي للبلاد وتزوجت من فليب الثامن مللك اسبانيا وهو واحد من اكثر الزعماء

---

[1] – رواس ، التاريخ الانجليزي، المرجع السابق ص 75.

[*] – توماس كروموبل، ولد عام 1485م من عائلة فقيرة قضى معظم شبابه خارج انجلترا وعمل تاجراً في فرنسا والأراضي المنخفضة وكون ثروة كبيرة واكتسب شهرة عظيمة في إدارة الأعمال، انظر محمد، حركة الإصلاح، ص 115.

[**] – توماس كرامر ولد في توتنسكمي شاير Watt Ingham Shire من عائلة ثرية.

[2] – الزيدي ، تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، ج2، المرجع السابق ص، 431.

[3] – مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الاوروبي ، المرجع السابق، ص 138.

[4] – البطريق، نوار ، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى موتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 191.

[5] – صالح حسن العكيلي، محاضرات في تاريخ أوربا في عصر النهضة المرجع السابق، ص 93.

الكاثوليك المتزمتي.[1] املات من تقوية الموقف الكاثوليكي في انجلتر والحصول على حليف خارجي ذو نفوذ قوي ليتسنا لها تكوين اتحاد سياسي وديني بين كل من انجلترى واسبانيا .[2]

بدأت ماري تيودور حكمها بإطلاق الحريات العامة في مسالة العقيدة الدينية قامت ببعض الإجراءات الاقتصادية لصالح الطبقة الفقيرة، إلا أنها كانت مرنة لسماح الكاثوليك بمزاولة طقوسهم الدينية، فعمد المجلس النيابي في عهدها إلى التخفيف من إجراءات التشديد التي تتعلق بالدين مقاومة في الوقت نفسه أي فكرة تدعو إلى التنازل عن وجود صاحب التاج رئيساً للكنيسة الانجليزية. [3]

حاولت ماري ثيودور التعاون مع طبقة النبلاء الكاثوليك بالدعم الأسباني لها أن تعيد الكاثوليك الانجليز وبدأت بملاحقة البروتستانت وأمرت بحرق الآلاف حتى لقبها البعض (ماري السفاحة)[4]، كما أنها ألغت قانون السيادة وأعادت انكلترا إلى أحضان البابوية، وقضت على جميع التشريعات الخاصة بحركة الإصلاح التي منحت في عهد والدها الملك هنري الثامن[5]، وكان حكمها من الاضطهاد الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ الانجليزي.[6]

واجهت الحكومة الانجليزية خطر المعارضين الذين قاموا بالتمرد والعديد من المؤامرات للتخلص من ماري تيودور من النفوذ الأسباني من البلاد، إلا أن جميع هذه المؤامرات باءت بالفشل[7]، وكان رد فعل الملكة تيودور الانتقام من مدبري الفتنة في البلاد وأمرت بمعاقبة رموز التمرد وإعدام ابرز قادتهم في عام 1554م، كما انتقمت من صغار عناصر التمرد وعلقت أجسادهم في أطراف مدينة لندن[8]وأخيراً توفيت ماري تيودور في عام 1558م وأصبحت إليزابيث ابنة هنري الثامن آن بولين زوجته الثانية ملكة على البلاد(1558–1603م) بدعم من البروتستانت.[9]

---

[1] – مراد وآخرون، دراسات في تاريخ اوربا الحديث المعاصر، المرجع السابق ص 63 .

[2] – ديورانت ، قصة الحضارة، المرجع السابق ، ص 175.

[3] – مخزوم، م مدخل لدراسة التاريخ الاوروبي ، المرجع السابق، ص 139–140.

[4] – مفيد الزيدي، تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 431.

[5] – مخزوم ، مدخل لدراسة التاريخ الاوروبي (عصر النهضة)، ، المرجع السابق ص 140.

[6] – البطريق ونوار ، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى موتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 103.

[7] – الشناوي، اوروبا في مطلع العصر الحديث، المرجع السابق ، ص 156.

[8] – محمد، حركة الإصلاح، المرجع السابق، ص، 175، 176.

[9] – مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، المرجع السابق ،ص 431.

لقد تميزت سياسة إليزابيث بنفس سياسة أبيها، وان العامل الأساسي لنجاح حكمها يعود إلى اختيار معاونيها من رجال اقل نفوذاً وليس من النبلاء الأقوياء الذين مازالوا على المذهب الكاثوليكي، ولما كانت إليزابيث لا تؤمن بالسيادة الشعبية فإنها لم تدع البرلمان للاجتماع إلا عند الضرورة، وأنها كانت تعاقب أعضاءه الذين يحاولون معارضتها وانتقاد سياستها حتى اتهمها السفير الاسباني في ذلك الوقت بأنها صورة من والدها هنري الثامن.[1]

ومع أن معظم سكان انجلترا من الكاثوليك عندما استلمت إليزابيث الحكم إلا أن تطلعها لبناء دولة قوية غير خاضعة للبابا جعلها في الوسط بين المذهب الكاثوليكي والبروتستانتي؛ لذا فإنها لم تأخذ جانب أي من المذهبين وإنما اتخذت موقفاً وسطاً بينهما واعتمدت البرلمان باتخاذه أداة لتنفيذ سياستها، وقد تمكنت من إقامة كنيسة جديدة في بلادها باسم الكنيسة الانكليكانية [2].

اعتمدت هذه الكنيسة عام 1559م على قانونين أساسيين الأول (قانون المذهب الأول) المعروف بالقانون ال (39 مادة) ، وبموجب هذا القانون على كل انجليزي حضور صلوات يوم الأحد في الكنيسة الانكليكانية، وكان القانون يشمل المجتمع بأكمله، الاكليروس – أي رجال الدين – والعلمانيين على السواء، وقد حدد العقوبة لمن لا يلتزم به من رجال الدين فالسجن لمدة ستة أشهر في المرة الأولى ، ومدى الحياة في المرة الثانية، أما بالنسبة للعلمانيين فقد نص القانون انه في حالة غيابه عن كنيسة أو أبرشية فعليه دفع غرامة لكل مرة غياب قدرها (12) بنساً أي شلناً، وذلك لتكون معونة للفقراء.[3]

أما القانون الآخر (قانون السيادة) فقد نص على أن تكون الملكة إليزابيث الحاكم الأعلى في انجلترا في جميع المسائل الروحية والزمنية على السواء بأي شكل من الأشكال، وبهذا القانون تم فصل الكنيسة الانكليكانية عن روما، وألغيت سيادة البابوية عليها، كما حدد القانون السيادة الملكية وسكوتها على الكنيسة ورجال الدين وألغيت كل التشريعات والقوانين الكاثوليكية الصادرة في عهد الملكة ماري [4].

وفي عام 1571م جرى تنظيم الكنيسة الانكليكانية بموجب البنود (39) والتي زاوجت بين الطقوس الكاثوليكية والتأثيرات الكلفينية وأصبحت اللغة الانجليزية أساساً في أداء الطقوس الدينية، كما صدرت قوانين ضد الكاثوليك الرافضين لسيادة الملك على الكنيسة وفرضت عليهم الضرائب

---

[1] – مخزوم ، مدخل لدراسة التاريخ الاوروبي ، المرجع السابق ، ص 140.

[2] – نعنعي ، اوروبا في بعض الازمنة الحديثة والمعاصرة ، المرجع السابق، ص 25.

[3]-The Reign of Elizabeth 1558-1603 Great Britain. J. B. Black p15.1965.

[4] – نعنعي ، اوروبا في بعض الازمنة الحديثة والمعاصرة ، المرجع السابق، ص 25.

الإضافية،ومنع التحول من البروتستانتية إلى الكاثوليكية وتعتبر عقوبته الخيانة العظمى، كما منع الجزويت من دخول البلاد فترسخت الكنيسة الانكليكانية المعتدلة المستقلة في انجلترا [1].

ثانياً: الإصلاح الديني في سويسرا:

تتكون سويسرا في العصر الحديث من اتحاد مجموعة من المقاطعات(الكانتونات) وحصل اتحادها على اعتراف الإمبراطورية الرومانية المقدسة في بواكير القرن السادس عشر، حيث كان اتحادها عام 1513م مكوناً من ثلاث عشرة كانتوناً.

لقد كانت سويسرا تعاني من تدخل الدول الأوروبية، المجاورة لها في شؤونها الداخلية واستخدام السويسريين كمرتزقة في حروب الجيوش الأوروبية وكانت المقاطعات الكبيرة تتدخل كوسط في الحكومات الأوروبية ، والمقاطعات الصغيرة في جمع المرتزقة وكانت ترغب في أن تحقق هدفها في إقامة دولة مركزية موحدة.

لقد استقبلت هذه الأوساط حركة الإصلاح الديني بالموافقة والترحيب وحاولت أن تستخدمها كوسيلة نحو بعث سويسرا من اجل أن تكون قوة سياسية وتزعم حركة الإصلاح الديني في سويسرا اولريخ زوينكلي Ulrichzwalgli(1483–1531م).[2]

– حركة زوينكلي:

يعد هذا الشخص من أوائل قادة حركة الإصلاح الديني في سويسرا، وهو من أسرة فلاحية مرموقة، وحصل نتيجة لظروفه الجيدة على ثقافة واسعة ومتميزة، ودرس في جامعة فيينا، وأجاد اللغتين اليونانية واللاتينية ، وحصل على شهادة الماجستير عام 1506م ، وهو في الثانية والعشرين من عمره، واعتنق حقبة من الزمن مبادئ الحركة الإنسانية ، وكون علاقة صداقة مع ارازمس الرونترداني Erasmas.[3]

بدأ حركته الدينية في مدينة زيورخ Zurich عام 1519م وكان هذا متأثراً إلى حد كبير كزميله لوثر بالكتاب المقدس، وعده المرجع الوحيد في العقيدة والإيمان [4] وهاجم صكوك الغفران، كما هاجم

---

1 – النعنعي ، أوروبا في بعض ألازمنه الحديثة والمعاصرة ، المرجع السابق ، ص 25.

2 – الشناوي ، تاريخ اوروبا في مطلع العصر الحديث ، المرجع السابق، ص 461.

3 – نفس المرجع ، نفس الصفحة .

4 – نعنعي ، اوروبا في بعض الازمنة الحديثة والمعاصرة ، المرجع السابق، ص 21.

استخدام البابا لرجال سويسرا في حروبه، وبعث في السويسريين روح الوطنية، ونصحهم بأن لا ينصاعوا إلا لصالح الاتحاد السويسري، كما دعا إلى عدم الخضوع لسيطرة روما.[1]

لقد نشر زوينكلي أفكاره الإصلاحية في عام 1522م في رسالة بعنوان (سبعة وستون مادة) ، دعا فيها لنقاء المسيحية من الشوائب التي مارستها في العصور الوسطى وإرجاعها إلى أصولها الأولى، وفسر النصوص الدينية عن طريق العقل أفضل من لوثر، وأعطى رعاياه في الكنيسة نوعاً من الديمقراطية في انتخاب زعمائهم بنفسهم، كما كانت الكنيسة تعقد مؤتمرات لمناقشة القضايا المهمة [2].

لقد دافع زوينكلي عن مبدأ زواج القسيس، وهاجم دفع العشور، ودعا إلى الاعتماد على الإنجيل دون التقيد بتعليمات الكنيسة[3]، ولكنه خالف لوثر في تفسير العقائد، ورأى أن يعهد بإدارة الكنيسة إلى يد السلطات التي تتولى شؤون الدولة كما فعل لوثر، وزاد هذه السلطات هي السلطات الجمهورية الثرية ولذا فانه كان يسود الكنيسة السويسرية النظام التام، ورغم خضوعها للسلطة الزمنية [4] ، أصبحت زيورخ مركز الحركة الزوينكلي وسرعان ما انتشرت في بقايا المدن السويسرية أمثال بيرن Berne وبازل Basel وسان هيلن Sanhelan وغيرها.ومن الجدير بالذكر أن المقاطعات الحضرية (البروتستانتية) دعمت حركة الزوينكلي، بينما وقفت المقاطعات الريفية إلى جانب الكاثوليكية ، الأمر الذي أدى إلى اندلاع الحرب بين الطرفين – أي الحضرية والريفية – واسهم زوينكلي بنفسه في المعارك حتى لقى مصرعه في موقعة كابيل في الحادي عشر من تشرين الأول 1531م ومزق جسده إلى أربع أجزاء، ثم احرق على محرقة نصبت فوق الروث، وألحقت الهزيمة بالمقاطعات الحضرية (البروتستانتية)[5]

وفي اكتوبر 1531م عقد صلح كابيل بعد وساطة فرنسا وتقرر أن تكون لكل مقاطعة الحق في تقرير مسائل الدين من غير تدخل خارجي، ومنذ ذلك الوقت بقيت سويسرا مقسومة بين البروتستانتية والكاثوليك [6].

---

[1] – ديورانت، قصة الحضارة ، المرجع السابق ،ص، 110، 111.

[2] – نفس المرجع، نفس الصفحة.

[3] – الشناوي، تاريخ اوروبا في مطلع العصر الحديث ، المرجع السابق، ص 469.

[4] – ديورانت، قصة الحضارة ، المرجع السابق، ص 127–128.

[5] – شكري وانيس ، التاريخ اوروبا في العصور الحديثة ، المرجع السابق، ص 110.

[6] – حاطوم ، تاريخ عصر النهضة الاوروبية ، المرجع السابق، ص 176.

- **حركة كالفن في جنيف:**

ترك موت زوينكلي البروتستانت السويسريين دون قائد بارز حيث أوقف موته انتشار مذهبه داخل سويسرا وخارجها، إلا أن تعليماته بقيت حية بعد تبنها من قبل المصلح الفرنسي جون كلفن Jeancalvin (1506–1564م) الذي يعود إلى عائلة من الطبقة الوسطى في بلدة نوويون Noyon الواقعة شمال شرق فرنسا [1].

التحق كلفن بجامعة باريس لدراسة علم اللاهوت، وأتقن اللغات القديمة ودرس التاريخ والقانون واللاهوت الكاثوليكي والبروتستانتي حتى يحصل على معلومات وفيرة عن الكنيسة ورجالها وتاريخها، وتعرف بعمق على الكتاب المقدس[2] ، وقد تحول إلى بروتستانتي عقائدي متأثرا في بواكير مشواره بأفكار لوثر.

وعندما بدأت الحكومة الفرنسية باضطهاد البروتستانت فر كلفن إلى ألمانيا هرباً من قمع الحكومة، ومنها اتجه إلى مدينة بازل السويسرية، ثم رجع إلى جنيف عام 1536م بقيادة حركة الإصلاح الديني فيها.[3]

تعد مدينة جنيف في القرن السادس عشر خارج الاتحاد السويسري، حيث كانت ذات استقلال داخلي، وتقع ضمن الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وأعلن أهالي جنيف نبذهم الطقوس البابوية في عام 1536م بدآوا بثورة ضد أمير دوقية سافوى Savoy الذي أراد أن يفرض عليهم المذهب الكاثوليكي، وقد كان وليم فاريل Farrel من ابرز قادة تلك الدعوات وثورة الإصلاح في المدينة، وان كان كلفن يؤيد سكان المدينة في المذهب البروتستانتي ضد السلطة بأمر الأمير الذين شكلوا مجلساً بلدياً لحكم مدينتهم ووقفوا ضد سلطة الدولة سلطة أسقف المدينة المتحالفين معاً، وبمساعدة قوات مدينة برن Barn استطاع الثوار إلحاق الهزيمة بقوات الدوق وتمزق شملها وأعلن مجلس جنيف عام (1536م)[4] في هذا العام

[1] – حاطوم ، تاريخ عصر النهضة الاوروبية ، المرجع السابق، ص 176.

[2] – الشناوي ، تاريخ اوربا في مطلع العصر الحديث ، المرجع السابق، ص 496.

[3] – مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، المرجع السابق، ج2، ص 429.

[4] - ديورانت، قصة الحضارة ، المرجع السابق ، ص 220.

وصل كلفن إلى مدينة جنيف بدعوة من فاريل ومجلس المدينة لتنظيم شؤون الكنيسة فيها، وبدأ كالفن واعظ المدينة، ثم أصبح الراعي الأول لأبرشيتها.[1]

لقد أصبحت الكالفينية تنتشر في عموم أوروبا ، وبذلك ازداد الانقسام الديني في أوروبا وأصبحت أوروبا على وشك وقوع حرب دينية بين الكاثوليك والبروتستانت، وقد أثرت هذه الأحداث في قوة الهابسبورج في اسبانيا وأصبحت بعض الدول تستغل الظروف الدينية لخدمة مصالحها السياسية.

ومع حلول شهر مارس 1536م اصدر كلفن كتاب أطلق عليه اسم (شطحات الدين المسيحي) الذي اشتهر به، وعرف بأنه أقوى وأكمل اثر في الديانة البروتستانتية وأعظمها في ذلك العصر، وقد طبع هذا الكتاب في حياة كلفن خمس عشرون مرة وأصبح نواة المذهب الكالفيني.

لقد ضم كالفن في كتابه مفاهيم جديدة لحركة الإصلاح الديني، عموماً التقى تارة واختلف تارة أخرى مع لوثر في العديد من الأمور، فقد التقى معه في جعل الكتاب المقدس المرجع الوحيد في قضية العقيدة والإيمان دون اللجوء إلى البابا [2] ولكنه اختلف عن لوثر في موضوع الغفران الذي هو حسب رأى كالفن هبة من الله يقدرها لعباده منذ الأزل بغض النظر عن أعمالهم وفضائلهم؛ فالثواب والعقاب هما أمور مقدرة على الإنسان منذ الأزل،هذا النوع من القدرية لم يقبل به لوثر[3] أما المؤمنين العابدين الزاهدين في ترف العيش فقد ميزهم كالفن على أنهم الصفوة التي اختارها الله منذ الأزل وأراد لها الخلاص.

وفي موضوع خضوع الكنيسة للدولة فقد كان كالفن يرى أن تخضع الدولة وجميع سلطاتها لتلك القلة التقية الورعة الكاملة في سبيل المسيحية، ويمكن في ضوء ذلك إقامة المجتمع الديني الذي يتصف أهله بحسن الخلق وصفات القديسين وتكون واجبات الملوك فيها الخدمة والعمل وفقاً لما انزله الله في الكتاب المقدس [4].

أقام كالفن في مدينة جنيف بسويسرا نموذجاً لمجتمعه المسيحي، إذ تأسست هيئة من كبار رجال الدن لحكم الكنيسة، ومجتمعاً كنسياً من القسيسين وكبار المواطنين الصالحين لحكم المدينة[5]،وقد فرض

---

[1] – شكري وانيس ، اوروبا في العصور الحديثة ، المرجع السابق ص، 113.

[2] – البطريق ونوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى موتمر فينا،المرجع السابق،ص 114.

[3] – بالمر،تاريخ العالم الحديث ، المرجع السابق، ص 140.

[4] – محمد مظفر الادهمي، تاريخ أوروبا الحديث (عصر النهضة)، مطبعة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، 1989، ص 52.

[5] – البطريق ونوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى موتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 114.

كالفن حياة التقشف والزهد على سكان مدينة جنيف، ومنع الاحتفالات والرقص والموسيقى في هذه المدينة، كما أقام فيها أكاديمية لتكون مركزاً لتخريج الدعاة القسس البروتستانت، ينطلق منها المبشروين إلى البلدان الأوروبية المختلفة، ولم يكن عبثاً أن عدت جنيف في عهده (روما البروتستانت).[1]

احتل العمل مكانة مهمة في فكر كالفن، إذ رفض النظرة تجاه الحياة الدنيوية؛ فكان يدعو إلى النشاط الخّلاق ومن هنا عارض الترف إلى التقشف، وتقليص أيام العطل والأعياد، كما دعا إلى تنظيم الاقتصاد العائلي ومحاربة النزعة الاستهلاكية لدى الناس وأكد على الأهمية النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لدعمهم لحركة الإصلاح.[2]

أصبحت الكالفينية مذهباً دينياً عالمياً، وقد أثرت بين عدد كبير من سكان المجر وبوهيميا وبولندا، كما أثرت في فرنسا موطن كالفن خاصة في النصف من القرن السادس عشر الذي شهد هناك حركة دينية سياسية واسعة مرتبطة بالكالفينية وأسمى أتباع كالفن في فرنسا بالهيوجونوت، كما انتشرت في الأراضي المنخفضة (بلجيكا وهولندا) حتى وصلت الكالفينية إلى اسكتلندا وانكلترا[3] وبذلك انقسمت أوروبا إلى معسكرين الأول الكاثوليك (أنصار البابوية)، أما الثاني فهم البروتستانت، وكان من نتائجها وقوع حرب طويلة بين المذهبين، وأيضاً حدثت اضطهادات عنيفة وثورات عديدة كان لها اثراً كبيراً في تاريخ دول أوروبا.[4]

ثالثاً : الإصلاح الديني في فرنسا:

لقى الكثير من الفرنسيين في أفكار المصلحين الدينيين أهمية؛ فاقبلوا على دراستها، ومع حلول القرن السدس عشر شهدت فرنسا بذور حركة الإصلاح الذي سبق وان قام بها المصلح لوفيفر Levever الذي ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الفرنسية وقال بوجوب العدة إلى الإنجيل والتقيد بنصوصه وحدوده.[5]

ومن الجدير بالذكر أن القاعدة الاجتماعية لحركة الإصلاح الديني في فرنسا لم تكن واسعة، فقد كانت الملكية للطبقة المتوسطة المتمسكين بالكانفلية لأنها تمثل رمزاً من رموز الوحدة الوطنية، إذ أن

---

1 – مراد وآخرون، دراسات في تاريخ اوربا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 64.

2 – نفس المرجع، نفس الصفحة.

3 – البطريق ونوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى موتمر فينا، المرجع السابق، ص 115.

4 – مخزوم ،مدخل لدراسة التاريخ الاوروبي، المرجع السابق ، ص 64.

5 – نفس المرجع،نفس الصفحة .

الكنيسة الفرنسية لم تكن خاضعة للبابوية، بل كان ملوك فرنسا يفرضون عليها إرادتهم منذ مدة ليست بالقصيرة، كما كان الفلاحون الفرنسيون متمسكين بالكاثوليكية[1] وكذلك النبلاء والإقطاعين والفرنسين فهم منشغلون بتحقيق أطماعهم في الحروب الايطالية وغير مكترثين بالإصلاح الديني، لذا لم تتوفر لفرنسا لظروف المناسبة مثل ألمانيا والأراضي المنخفضة وسويسرا لظهور حركة الإصلاح الديني.[2]

تجاهل فرنسوا الأول النظر عن انتشار أفكار البروتستانتية وملاحقتها لانشغاله بخصمه شارل الخامس ليضمن دعم الأمراء البروتستانت الألمان له، ولكن بدأ ملك فرنسا منذ أواسط الثلاثينات من القرن السادس عشر حملة ضد البروتستانت الفرنسيين، واستخدم عدة أساليب لقمعهم منها الحرق والاعتقال وإعادة محاكم التفتيش إلى فرنسا عام 1540م، أثارت الكالفينية رعب السلطات الفرنسية في عهد هنري الثاني(1547م–1547م) الذي أقام محكمة طوارئ بهدف القضاء عليهم وعلى مئات الأشخاص من أتباعهم بأحكام شتى، ولكنه رغم ذلك استمرت حركة الإصلاح الديني في فرنسا وازداد أتباع الكالفينية الذين سموا (الهيوجونت) وهي كلمة فرنسية تعني أنصار الإصلاح الديني، وقد دخل فيها الكثير من النبلاء من الجنوب والجنوب الغربي للبلاد ليقفوا ضد السلطة سياسياً وايدولوجياً.[3]

عاشت الملكية الفرنسية أزمة في الحروب الايطالية، وفشل تحقيق أطماع النبلاء الفرنسيين فيها، وبسبب ثورة الأسعار، وعجز النبلاء عن مواصلة حياتهم المترفة كما كانوا من قبل اكتسبت مسالة مصادرة ممتلكات الكنيسة أهمية حيوية لهم؛ لذا حاولوا استخدام حركة الهيوجونت لتحقيق أهدافهم.[4]

ومما زاد في اضطهاد الهيوجونت انتهاء الحرب وعقد معاهدة كامبريزى Chateau Compresses ، حيث تفرغت المملكة الفرنسية منذ أواخر عهد الملك هنري الثاني لمشاكلها الداخلية التي كان يثيرها الصراع بين الكاثوليك والهيوجونت [5] .

وقد تعاقب على العرش الفرنسي بعد وفاة هنري الثاني عدة ملوك ضعاف مما مكن كاثري دي مدنتشي Catherinede Medicis الايطالية النسب من أن تدير أمور فرنسا طيلة مدة حكم أولادها، وقد عملت على إصدار مرسوم عام 1562م الذي قضى بالسماح للهيوجونت بإقامة طقوسهم الدينية في

---

1 – مراد وآخرون، دراسات في تاريخ اوربا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 64.

2 – مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، ج2، المرجع السابق، ص 432.

3 – مراد وآخرون، دراسات في التاريخ الاوروبي الحديث والمعاصر، المرجع السابق ، ص 64.

4 – نفس المرجع، ص 65.

5 – مخزوم، مدخل التاريخ الاوروبي، المرجع السابق، ص 46–147.

جميع فرنسا مما أثار حفيظة الكاثوليك الفرنسيين وأغضبهم، وعلى الأخص أسرة دوي فيز منهم فحدثت مذبحة فايس Vassy في العام نفسه حيث قتل فيها ستون فرداً من الهيوجونت، وعلى الرغم من المراسيم التي صدرت لصالح الهيوجونت، كصلح امبواز Amboise عام 1562م، ثم صلح سان جرمان St. Germain عام 1570م إلا أن الحالة السيئة عمت فرنسا طيلة هذه الفترة عندما دبرت جريمة ضد الهيوجونت ووفودهم إلى باريس يوم عيد القديس سان بارتملي St . Barthelmyعام 1570م لحضور مراسم احتفالات زواج الملك هنري ملك النافار البروتستانتي من ابنة ماري، واتفقت كاثرين مع أسرة (غيرمنهم) الذين هاجموا الهيوجونت وعموا فيهم القتل، ولم تقتصر المذابح على مدينة باريس بل شملت جميع أنحاء فرنسا، وقد راح ضحية هذه المذابح حوالي عشرين ألف من الهيوجونت، وقد أعقبها مرسوم 1573م الذي ضمن للهيوجونت أداء طقوسهم في أربع مدن فرنسية من بينها سير لاروشيل وسان سير، وقد استولى على العرش الفرنسي بعد وفاة شارل التاسع أخوه هنري الثالث (1574–1589م) فبدأ حكمه بسياسة حادة ضد الهيوجونت مما أشعل نار الثورة من جديد، ومما أثار الكاثوليك وعلى الأخص أسرة (من هم) حيث دعاهم إلى قصر بلوا Bolbis ثم فتك بزعيم أسرة ذي غير، ثم انضم إلى ملك النافار ليأمن شرهم.[1]

2- هنري الرابع (1589–1610م) وسياسة التسامح الديني:

انتهت حروب الهيوجونت بإصدار مرسوم نانت عام 1598م وقد حاول هنري الرابع إصلاح الوضع عند وصوله للعرش، ولهذا قرر المرسوم بان الكاثوليكية هي دين الدولة الرسمي، واستعاد رجالها (أي الكنيسة) الأراضي والممتلكات الخاصة لهم، كما حصل الهيوجونت على حق إقامة طقوسهم الدينية وأجاز لهم التمتع بالحقوق المدنية والحماية القانونية وتسلم المناصب الحكومية، كما انه يحق لهم أعضاء في البلاط الملكي، كما أبقى في حوزتهم مائتي قلعة ليكون دليلاً على حسن النوايا الملكية.

وقد عد مرسوم نانت مثالاً أعلى لسياسة التسامح الديني في أوروبا، واستفاد هنري الرابع من المرسوم إخضاع الهيوجونت للسلطة المركزية حيث تخلى هؤلاء عن مواقعهم السياسية المعارضة للملكية.[2]

---

[1] – مخزوم، مدخل التاريخ الاوروبي، المرجع السابق ص، 146–147.

[2] – نفس المرجع ، ص 148–149

لقد أصبحت الكالفينية تنتشر في عموم أوروبا، وبذلك ازداد الانقسام الديني في أوروبا وأصبحت أوروبا على وشك وقوع حرب دينية بين الكاثوليك والبروتستانت، وقد أثرت هذه الأحداث في قوة الهابسبورج في اسبانيا وأصبحت بعض الدول تستغل الظروف الدينية لخدمة مصالحها السياسية.

المبحث الثاني

وضع الكنيسة الكاثوليكية وثورة الاراضي المنخفضة

وضع الكنيسة الكاثوليكية واصلاحاتها

عندما وجدت الكنيسة الكاثوليكية أنها لا تستطيع الوقوف بقوة أمام حركة الإصلاح الديني، اتجه بعض رجالها إلى التفكير بتصحيح أوضاعها بالشكل الذي جعلها أكثر قبولاً من قبل الناس الذين وجدوا بالمذهب البروتستانتي وعقائده ما يتلاءم مع روح العصر الجديد الذي رفض مظاهر العصور الوسطى، وكانت احد أهم هذه المظاهر الكاثوليكية المتعصبة.

لقد انتشرت البروتستانتية في ثلاث أرباع ألمانيا وتأثرت فرنسا وهولندا وبلجيكا بها بشكل كبير وانفصلت انكلترا عن روما، وأصبحت اللوثرية عقيدة لشعوب الدانمرك والسويد والنرويج وكثير من سكان بولندا وبوهيميا، بل إنها انتشرت في ايطاليا نفسها.

لقد دفع هذا الانتشار الواسع للمذهب البروتستانتي القيام بإجراءات مضادة من قبل باباوات النصف الثاني من القرن السادس عشر لوقف هذا الزحف أو الحد منه على الأقل، فظهر في بلاط البابا (حزب الكرادلة الإصلاحيين) ليقودوا ما عرف باسم حركة الإصلاح الكاثوليكي Catholic Reformation أو الإصلاح المضاد The Counter Reformations وقد تجسدت هذه الحركة في قرارات ترنت Tarnt الماسوني (1545–1563م) وجماعة الجوزيت (اليسوعيين) في روما [1].

1- مجمع ترنت The Coancill of Tarnt (1549–1534م):

دعا البابا بولس الثالث Paualls III (1549–1534م) الذي يعد أول رئيس لفكرة الإصلاح الكاثوليكي، والمحرك لها في عام (1542م) ، حيث دعا كبار رجال الدين المسيحي لعقد مجمع عام في مدينة ترنت الواقعة على الحدود الايطالية الألمانية عند جبال الألب والتي تقع ضمن حدود الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

وبسبب الخلافات الموجودة بين أعضائه حول قرارات المجمع والمشاكل السياسية والدينية الكبيرة الموجودة آنذاك في القارة حتى بلغت عدد جلساته خمساً وعشرين جلسة فأنهى المجمع

---

[1] – محمد مظفر الادهمي، تاريخ اوروبا الحديث(عصر النهضة)، المرجع السابق، ص 55-56.

أعماله في الرابع من ديسمبر عام (1563م) بعد أن حدد طرق الكنيسة الكاثوليكية لقرون عدة قادمة [1].

أما القرارات المتعلقة بالعقيدة الكاثوليكية فقد تم تحديد عدد كبير من الأمور العقائدية التي لم تحدد من قبل، وخاصة في مسائل القداس بإثبات الحضور الحقيقي للمسيح في سير القربان المقدس، ورفض المجمع كل أفكار لوثر وكالفن القائلة بان الإيمان قبل الأعمال، وأكد مبدأ الكنيسة أن خلاص المؤمن يأتي من عمله لصالح التابع ، ولم يقر في تفسير العقائد وغيرها من مسائل الفقه الديني ، وإنما يجب الاعتماد أيضاً على العقائد الكنسية التي تعود أساساً إلى الكتاب المقدس ثم إلى التقاليد الكنسية القديمة واهتماماتها وعدم قبول حق الأفراد في تفسيرهم للكتاب المقدس، وأصر المجمع على التمسك بالنسخة المعتمدة من الكتاب المقدس المترجمة من اللاتينية القديمة ، والتي وضعت من قبل القديس جيروم في القرن الرابع الميلادي في هذا الجانب ، والتأكيد على العقائد الأخرى الكاثوليكية مثل الإيمان بالمطهر وإجلال الصور وعبادة القديسين.[2]

ومن اجل الحفاظ على العقيدة ووحدتها فقد قرر مجلس ترنت إعداد قوائم بأسماء الكتب ، والمطبوعات التي كتبها لوثر وكالفن وزونيكلي ، وغيرها من الكتب البروتستانتية أو غير البروتستانتية والذين تتهمهم الكنيسة، كما اهتم المجتمع باستئصال المساوئ الصارخة واستعمال اللغة اللاتينية وحرم زواج القساوسة ، وحث القساوسة والرهبان على التحلي بالصلاة والتقوى، وجعل للأساقفة الحق في مراقبة سلوك القسيسين، وتوقيع عقوبات الأسقفيات في يد شخص واحد، وحدد شكل الشاغل للمناصب الكنسية.

وقد حتمت قرارات المجمع إنشاء مدارس مكونة بمثابة معاهد تدريب وتعليم لرجال الدين الثقافة الدينية وواجباتها، ثم تناول المجمع سلطات الباباوات فقرر أن البابا راعي الكنيسة وانه هو خليفة السيد المسيح (عليه السلام)، وانه المفسر الوحيد للكتاب المقدس وله بسبب ذلك السلطات العليا في الكنيسة، وهكذا سجل مجمع ترنت نهضة كاثوليكية مؤسسة على سلطة البابا وصرامة النظام الكنسي.[3]

---

1 – مخزوم، مدخل التاريخ الاوروبي، المرجع السابق، ص 56.

2 – ديورانت، قصة الحضارة، المرجع السابق، ص 243–244.

3 – نفس المرجع، ص 245–251

2- اليسوعيون (الجزويت) Jesuits:

كانت الوسيلة الثانية التي اتبعها الكاثوليك لمقاومة البروتستانت هي إنشاء طوائف دينية تناضل من اجل سياج الكاثوليك العنيد، وكانت أقوى تلك الطوائف وأكثرها نجاحاً (طائفة الجزويت)[1] التي أنشاها اجناتيوماس ليولا[*] Langrtus Loyola (1491–1556م) احد الفرسان الأسبان التابعين للإمبراطور شارل الخامس ، والذي كان يحارب فرنسا وأصيب في احدي المعارك مما سبب له العوق الأمر الذي حال دون إكمال حياته العسكرية، وخلال شفائه درس الكتاب المقدس وتعمق في قراءة سير الرسل والقديسين ، وبعدها قرر تكريس حياته للمسيح والكنيسة الكاثوليكية وان يناضل في سبيل معتقده هذا بدلاً من خدمة الملوك، وقد حج إلى قبر المسيح في بيت المقدس ثم التحق بجامعة باريس في عام 1534م ، وحصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت والفلسفة، وتميز على رفاقه بقوة شخصيته خلال رياضتهم الروحية وأوقات تعبدهم متخلين عن كل رغبات الحياة ومغرياتها، ورحل ليولا مع رفاقه إلى ايطاليا، في الوقت الذي بدأت فيه سياسة البابا تتجه نحو الإصلاح، وقاموا بالوعظ والإرشاد في أراضي البندقية وأسسوا رابطة تعاهدوا فيها على خدمة الكنيسة الكاثوليكية ، وأطلقوا على أنفسهم اسم (جمعية اليسوعيون) Societe Josus، بعد ثلاث أعوام من تأسيس الجمعية أي في السابع والعشرين من أيلول 1540م اعترف البابا بيوس الثالث بنظام جمعية اليسوعيين الصارمة شبه العسكرية فرئيس اليسوعيون ينتخب القائد الأعلى لمدى الحياة ويتبع البابا مباشرة ، ويعلن يمين الطاعة وهي طاعة عمياء لا نقاش فيها؛ ولذا أعفاها البابا من الضرائب من الخضوع لأي سلطة عدا سلطة (أي سلطة البابا) ، وسمح للجمعية أن يكون لها قضائها الخاص بها، أما أعضاء الجمعية فإنها مسيطرة على فعل كل منها.

ويقول ليولا بهذا الصدد (لو قالت الكنيسة عن شيء ما انه اسود وهو يبدو ابيض فما على اليسوعيين إلا الإقرار انه اسود، كما تقرر أيضاً توقيع عقوبة الحرمان البابوي بنوعيه الفردي والجماعي ضد أي فرد أو هيئة حاكمة تحاول المساس بامتيازات الجمعية [2].

---

[1] – عبدالرحيم ، التاريخ الأوروبي المعاصر، المرجع السابق، ص 85.

*– هو دون انجو دي ريكالدي من اسرة نبيلة ولد عام 1481م في جيوزكو في اقليم نافاز في اسبانيا وهو متعصب كاتوليكي، الشناوي اوروبا في مطلع العصر الحديث، المرجع السابق، ص554.

[2] - البطريق ونوار، التاريخ الاروبي الحديث من عصر النهضة الى عصر مؤتمر فينا، المرجع السابق ، ص 107،108.

وقد تختلف طريق اليسوعيون عن غيرها من الفرق في أنها طريقة عمل كفاح ودخول في المجتمع لإصلاحه وأعضائها الكتاب والأساتذة والأطباء والعلماء والمبشرين ودخل اليسوعيين النضال الديني منذ تأسيس جمعيتهم فاسسو دور العلم المثمثلة في المدارس والجامعات واشتهروا بنظام تعلميهم الممتاز وبزغ الجزويت في النظام التربوي حتى تميزت مدارسهم بأنشط المدارس وأنجحها، في المدن الأوروبية آنذاك بما وضعوا من النظم من الثقافة العالمية واسعة الاطلاع وهدفها نشر أكبر قدر من الثقافة العامة، وتم اختيار علمائها من ذوي الثقافة العالية والمقامات الرفيعة من الوسط الشعبي، واستقبلت هذه المدارس أبناء النبلاء والبروتستانت لتغيير معتقداتهم، وشدد اليسوعيون على اللاتينية الكلاسيكية والممارسات الدينية والمسرح والتمارين الجسدية، وساد التعليم اليسوعي في المرتبة الأوروبية تدريجياً بعد أن برز هدف التربية الإنسانية العلماني وليس الدين وحسب ،لم يمضي نصف قرن على تأسيس هذه الجمعية حتى أصبح لها ما تريد من ظهور وشهرة، ولم تعد قاصرة على المذهب الكاثوليكي في أوروبا بل عملوا على نشرها في مجاهل الأمريكتين والشرق الأقصى والجزر النائية ومارسوا دكتاتورية فكرية عندما أُنيطت بهم بعد عام 1620م مهمة الإشراف على جامعتي فيينا وبراغ واستقروا بعد ذلك في هنغاريا في ظل أسرة الهابسبورج، وأسسوا عام 1632م في ترناف أكاديمية وتحولت إلى جامعة بودابست على يد الكاردينال بازماني، وقد اتخذ جميع الملوك والأمراء مرشدين لهم من اليسوعيون، مثل: هنري الرابع وفرديناند الثاني، وعملوا سياسة إرضاء ومسايرة روما واسبانيا، وانتقل هؤلاء المبشرين إلى الهند والصين وفرضوا نفوذهم في بلاط بكين بسعة اطلاعهم ومعارفهم الفلكية، وفي عام 1640م أسسوا في كندا مركزاً لنشاطهم الخاص. [1]

3- محاكم التفتيش Ingestion:

على الرغم من أن مؤرخي وكتاب التاريخ الأوروبي وضعوا محاكم التفتيش ضمن حركة الإصلاح الكاثوليكي، مع العلم أنها وجهة إصلاحية حقيقية، والسبب في ذلك يعود أن هذا المحاكم خدمت لحركة الإصلاح الكاثوليكي، ولكن بالقوة والشدة على غرار محاكم التفتيش التي أقامتها الكنيسة في اسبانيا عام 1492م على العرب المسلمين وحضارتها العربية الإسلامية.[2]

---

[1] – مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، ج2، المرجع السابق ، ص 438.

[2] – الادهمي، تاريخ أوروبا الحديث، المرجع السابق، ص 58.

لقد وجدت الكنيسة الكاثوليكية طرائق ووسائل أخرى لإعادة هيبتها وسيطرتها لدى المجتمع المسيحي ، والحد من التقدم الوافر للحركة البروتستانتية، فاصدر البابا بولس الثالث قراراً عام 1542م بإحياء محاكم التفتيش، والعمل بقوانينها على أن تستمد سلطتها من البابا نفسه، ولا دخل للحكومات في تصرفاتها، وعين فيها كبار رجال الدين (الكرادلة) ومنحهم سلطة واسعة بوصفهم مفتشين في جميع أنحاء أوروبا الكاثوليكية، وأصبح عدد أعضائه أثنى عشر عضواً.

خولت الكنيسة الكاثوليكية محاكم التفتيش حق مراقبة دور النشر والمطبوعات والمدارس، وقررت الكتب التي يسمح بقراءتها وإحراق المخالف منها، ومن بينها كتب فيها لوثر وزونيكي وكلفن، مع إعطائها حق التجسس على المخالفين والمشتبه فيهم عقائدياً وهم ممن دعوا إلى الإصلاح على أساس التسامح والتفاهم سواء من المذهب البروتستانتي أو الكاثوليكي [1].

ففي عام 1559أو 1561م تم إعلان أحكام الإعدام حرقاً في مدينتي (بلد الوليد وبودغوس[*]) ضد المؤيدين للإصلاح، ومنهم كاهن شارل وهوكازالا ورجال الأدب والارستقراطيين والكهنة، ومع هذا فأنها كانت اخف وطأة من أساليب محاكم التفتيش الاسبانية أيام العرب المسلمين.

وتوسعت سلطة محاكم التفتيش في عهود الباباوات الذين خلفوا بولس الثالث، وأصبحت ترسل المفتشين إلى أي منطقة تجد انه من الضروري مكافحة البروتستانتية بها ومع أن طابع المحاكم كان عالمياً إلا أنها لم تتجاوز ايطاليا واسبانيا بسبب المعارضة الشديدة التي كانت حكومات الدول تظهرها ضد هذه المحاكم.[2]

لقد أهملت حركة الإصلاح الكاثوليكي في تطبيق قرارات مؤتمر ترنت والتمسك بكل الوسائل التي تمكن من إعادة مكانتها، وتعد في الوقت نفسه من مكاسب البروتستانت التي كانوا يحققونها على حساب المذهب الكاثوليكي، ولقد نجحت الحركة في كثير من المناطق في مهمنها، بل أنها قضت على البروتستانتية نهائياً في ايطاليا، ولكن يعنى أنها عهد البروتستانت وتقليص

---

[1] – ابوعلية وياغي ،تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، المرجع السابق ، ص 177.

[*] - بلد الوليد وبودغوس هي مدينتي في اسبانيا

[2] – ديورانت، قصة الحضارة ، المرجع السابق، ص 239، 241.

الأراضي التي كانوا يسيطرون عليها بشكل يهدد بقاءهم واستمرار وجود المذهب البروتستاني في معظم البلدان التي سبق وان نجح فيها من قبل [1].

نتيجة لحركة الإصلاح الديني البروتستانتي والإصلاح الكاثوليكي المضادإنقسمت أوروبا على نفسها بشكل عام إلى معسكرين الأول البروتستانتي والآخر الكاثوليكي بتياراتها المختلفة (اللوثرية – والزونيكلية والكالفينية، والانكاتيكية وغيرها) وساد التعصب الديني القارة معاً مما أدى إلى حروب مذهبية طاحنة خلال القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر كانت أصعبها وأقساها حرب الثلاثين عاماً (1618–1648م) وتأثرت بهذا الأمر البلدان الأخرى وخاصة في ايطاليا وألمانيا، وفي المقابل أدى الإصلاح الديني إلى تقدم الفكر الأوروبي وتحرير العقول من التعصب والتزمت بسيادة روح التسامح والحوار الفكري، واصبح الإصلاح الديني مرحلة مهمة من تاريخ أوروبا الحديث مما فتح آفاق واسعة، أمام التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدول الأوروبية.[2]

ثورة الأراضي المنخفضة:

لما اعتزل الإمبراطور شارلي الخامس(شارلكان) الحكم وتنازل عن تيجانه الكثيرة، ونفى نفسه منعزلاً في احد الأديرة عام 1556م بعد صلح اوجزبرج، قسم أملاكه بين أخيه فرديناند وابنه فيليب؛ فأصبح فرديناند الإمبراطور للدولة الرومانية المقدسة وأصبحت النمسا وبوهيميا والمجر في حوزته؛ أما الممتلكات الأخرى فقد كانت نصيب ابنه الذي أصبح فيليب الثاني ملك اسبانيا (1556–1598م).

وكانت السلالة المالكة الاسبانية أعظم نفوذ من السلالة النمساوية على مدى قرن من الزمان، ولم يكن فيليب الثاني ملكاً على اسبانيا وحدها، فقد استولى على البرتغال بالوراثة عام 1580م، وامتد سلطانه إلى الأراضي المنخفضة ومار برجنديا الحرة، وكلها كانت تعتبر من ضمن الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

---

[1] – الادهمي، تاريخ اوروبا الحديث ، المرجع السابق، ص، 58–59.

[2] – مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ج2، ص 432.

وكان فيليب الثاني كاثوليكيا متعصباً يساند الكنيسة الكاثوليكية، وقد أخذ على عاتقه قيادة الحركة الكاثوليكية المضادة وإعاد مجد المذهب الكاثوليكي لا في أملاكه فقط بل في العالم كله.

وقد كان من نتائج الانقسام الديني في أوروبا وظهور مصلحين معادين للكنيسة الكاثوليكية ويعتنقون مبدأ الكفاح والمقاومة في سبيل العقيدة أن وجدت قوتين متصارعتين من اجل العقيدة، أحداهما بروتستانتية كالفينية ومقرها جنيف، وأخرى كاثوليكية ومقرها روما، وقد أدى ظهور هذا الصراع إلى زج الكثير من الدول الأوروبية في حروب دينية عنيفة من منتصف القرن السادس عشر، وحتى الثلث الأخير من القرن السابع عشر.

وقد كانت الأراضي المنخفضة من الميادين التي اندلعت فيها الثورات التي اختلط فيها النضال الديني بالنضال السياسي، وكانت ثورتهما أعظم كارثة حلت باسبانيا في عهد فيليب الثاني[1]، واصبحت بعد حروب طاحنة إلى إضعاف شوكتها [2] والى تكبدها خسائر كبيرة في الأموال والأرواح [3].

كانت الأراضي المنخفضة تتكون من سبع عشر مقاطعة[4] حصل عليها في القرن الخامس عشر دوق برجنديا، ثم أصبحت تابعة للتاج الاسباني بزواج مكسمليان من ماري البرجندية، ثم ورثها منه حفيده شارل الخامس (شارلكان) ثم ابنه فيليب، كانت جزءاً من الإمبراطورية إلا أنها لم تخضع لسلطانها المطلق لما فطر عليه أهلها من حب الحرية والميل إلى الاستقلال ولذلك كانوا يتعرضون للاضطهاد، وخصصاً في عهد شارل الخامس الذي استغل مواردهم في سد حاجات الإمبراطورية [5].

وكان أهم غرض يرمي إليه حكامها منذ عهد شارل الخامس (شرلكان) هو توحيد حكومة تلك السبع عشرة مقاطعة، وحال دون ذلك ما كان بين الشمال والجنوب من الاختلافات الدينية

---

[1] – البطريق ونوار،التاريخ الاروبي الحديث من عصر النهضة الى عصر مؤتمر فينا ، المرجع السابق ص، 119-120.

[2] – عمر الاسكندري وحسن سليم، تاريخ أوروبا الحديث وحضارتها، مطبعة المعارف، القاهر، 1917، ص137.

[3] – البطريق ونوار، المرجع السابق، ص 120.

[4] – عمر الاسكندري وحسن سليم ، تاريخ اوروبا الحديث وآثار حضارتها ، المرجع السابق ، ص 137.

[5] – البطريق ونوار، التاريخ الاروبي الحديث من عصر النهضة الى عصر مؤتمر فينا، المرجع السابق، ص 120.

والسياسية والعواطف القومية، إذ كان سكان المقاطعات الشمالية يدينون بوجه عام بالمذهب البروتستانتي ومعظمهم من الجنس " النيوتوني " ويتطلعون إلى الحكم الديمقراطي، بينما كان سكان الجنوب يتبعون الكنيسة الكاثوليكية في روما وينتسبون إلى الجنس الكلتي ويميلون إلى الارستقراطية[1].

وعندما آلت الأراضي المنخفضة إلى فيليب الثاني كانت فكرة الاتحاد المشترك وضرورة قيام كيان واحد للأراضي المنخفضة، تتسلط على أذهان عدد كبير من المفكرين، وقد سنحت الظروف لهذه الفكرة أن تنمو وتتطور وتصبح ثورة هدفها التخلص من الحكم الاسباني في البلاد المنخفضة.

وقد عاش فيليب هناك فترة طويلة من عمره امتدت حتى عام 1559م، كان همه أثناءها تدبير الوسائل للقضاء على المذهب البروتستانتي لأنه كان يعتقد أن توحيد الملك لا يتأتى إلا بتوحيد الدين.

وكان أول أخطائه السياسية انه عندما غادر للأراضي المنخفضة [2]، لم ينصب عليها والياً من أبنائها؛ بل عهد إلى أخته " مرغريت برما " (1559–1567م)[3]، وعين موظفي الحكومة كلهم من الأسبان، ووضع قوات اسبانية، فساء ذلك أهل البلاد، وتجمعت عوامل الثورة في ذلك العهد الذي اتسم بالبطش والغلظة، وكانت السلطة الحقيقية في يد الكاردينال جرنفلا Granavelle البرجندي الذي كان حائزاً على ثقة فيليب ومشهوراً بجبروته وشدته.

وقد بدأت المتاعب في الأراضي المنخفضة عندما أتسعت دائرة الحروب التي خاضتها اسبانيا واضطرت إلى مطالب البلاد التابعة لها بالمساهمة فيها بالمال والرجال بما يزيد عن طاقتها، كذلك اتسعت سلطات محاكم التفتيش التي كان والده قد ادخلها من قبل في الأراضي المنخفضة، وقد ترتب على ذلك اتساع نطاق تلك المحاكم حركة سخط على الحكومة من الكاثوليك والبروتستانت على السواء.

ولما كان فيليب يتوقع قيام الثورة فانه دفع إلى الأراضي المنخفضة بقوات عسكرية متلاحقة مما زاد في إذكاء الشعور القومي ضد الحكم الاسباني، ولما شعر فيليب بالخطر شرع في سحب

---

[1] – عمر الاسكندري وحسن سليم ، تاريخ اوروبا الحديث وآثار حضارتها ، المرجع السابق ، ص 138.

[2] – البطريق ونوار ، التاريخ الاروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 120.

[3] – عمر الاسكندري، وحسن سليم ، تاريخ اوروبا الحديث وآثار حضارتها ، المرجع السابق ، ص 138.

تلك القوات، وصرف النظر عن التمسك بما فرض على البلاد من ضرائب فادحة واضطر إلى تخفيفها، إلا أن المعارضة أخذت تتحدى وتشدد وتنذر بقيام الثورة ، وفي ذلك الوقت انتشرت مبادئ كالفن الدينية وتحمس لها المواطنون وقابلت الحكومة هذه الحركة بوسائل القمع والاضطهاد، وكانت الأحكام التي تصدرها محكمة التفتيش تنفذ بكل قوة وغلظة، قامت فئة من شباب المدن وانضم إليها عدد لا يُستهان به من النبلاء الأحرار الذين كان هدفهم مقاومة اسبانيا، وألفوا جمعية لقبوها بالحلف Comfromise وأعلنوا أن أهم أهدافهم وهما: مقاومة محكمة التفتيش والمطالبة بإلغائها والتخلص من التحكم الاسباني في الأراضي المنخفضة.

وقد تزعم هذه الحركة القومية ثلاثة رجال هم وليم اورنج الذي اشتهر باسم " وليم الصامت " ، والكونت اجمونت Egmont، وأمير البحر هورون، ولكن وليم اورنج كان اقدر الثلاثة وأقواهم شخصية، وقد تربى في بلاط الإمبراطور شارل الخامس ، وكان محبوباً منه ومقرباً إليه، وقد عينه في أواخر أيامه حاكماً على مقاطعات هولندا وزيلندة واترخت، ولكنه في عهد فيليب الثاني كان حانقاً على أسلوب الحكم الاسباني ، وعزم على مساعدة كل حركة قومية ترمي إلى طرد الأسبان من الأراضي المنخفضة.

وفي سنة 1563م توجه النبلاء الثلاث وليم اورنج وأمير البحر هورن والكونت اجمونت بالتماس للملك فيليب يطلبون فيه طرد جرنفلا واستجاب لهم فيليب بعد تردد شديد، ومع ذلك لم يغير فيليب سياسته اتجاه الأراضي المنخفضة واستمرت محاكم التفتيش تضطهد البروتستانت والحكم بالحرق على من تحوم حوله شبهة التعرض للمذهب الكاثوليكي، وقد أثارت قوة الأحكام كل من البروتستانت والكاثوليك على السواء، وكان عدد لا يقل عن خمسمائة من النبلاء من المذهبين قد تنضم إلى الحلف الذي يطالب بإلغاء محاكم التفتيش، ووقف الاضطهاد الديني، وبذلك تعزز مركز المعارضة في الأراضي المنخفضة، وقد هب كثير من أعضاء الحلف إلى حاكمة البلاد مرغريث بارما لتقديم احتجاج الشعب على إدخال محاكم التفتيش الاسبانية إلى البلاد، فداخل الأميرة الخوف فشجعها احد رجال حاشيتها قائلاً:(لا تخافي بأس هؤلاء الشحاذين) ومن هنا لقب الحلف بهذا الاسم الشحادين.[*][1]

---

[*] – الشحادين: أطلق هذا الاسم على الحلف في اليوم الثاني لتقديم الاحتجاج عندما أصبح أعضاءه وقال احدهم: لقد أطلقوا علينا لقب الشحاذين فدعونا نحتفظ بهذا الاسم * ابوعليه وياغي، تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر،المرجع السابق، ص 122.

[1] – البطريق، ونوار، التاريخ الاروبي من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، المرجع السابق، ص122.

- الثورة وأعقابها (1566–1567م):

رفضت الحكومة إجابة مطالب الحلف فانفجرت الثورة التي اندلع لهيبها في البلاد، وامتدت إلى اتباع البروتستانتية، ومعظمهم من الكالفيين المتعصمين، فاندفعت تخرب الكنائس[1]، واتلفوا الصور والتماثيل الدينية في معظم أمهات المدن مثل "انفرس" وغيرها، فاضطرت مرغريث أن يتعهد الثوار بإلغاء محكمة التفتيش، وبعد أن عبث البروتستانت بالكنائس الكاثوليكية ومعابدهم، صرف الكاثوليك من حولهم وعمل على اخماد نار الفتنة، واصبحت المياه تعود إلى مجاريها بحزم اورنج وأصحابه، إلا أن فيليب كان قد علم بقيام الثورة فانتهزها فرصة للقضاء على البروتستانت فسير "دوق الفا" على رأس جيش عظيم لهذا الغرض، فكان وصوله السبب النهائي في إعلان الثورة وتأجيجها، وذلك في عام 1567م ، أما مرغريث فإنها اعتزلت الحكم، فنصب مكانها " الفا " وذلك كان عملا قام به بعد أن قبض على " اجمنت " و " هورن " وافلت من يده " اورنج " ثم اخذ يرتكب فظائع تقشعر منها الأبدان، وتنفطر لها القلوب على يد " مجلس الدم " الذي ألفه من الأسبان لهذا الغرض ، وكان " الفا" يفتخر انه اهلك بأمره 18000 نفس، وقد هرب من البلاد ثلاثة أمثال هذا العدد وذهب معظمهم إلى انجلترا، أما "جمنت" و"هورن" فانه أعدمهما من غير محاكمة [2] ، أما وليم اورنج فقد رفض العودة للمثول أمام " مجلس الدم " وأعلن انه أمير من أمراء أوروبا، ولذلك لا يمثل أمام محكمة غير شرعية، وقد نشر على الناس ادعاءه الذي سماه بالتبريرJestipication في عام 1568م واستعرض فيه جميع الأحداث في الأراضي المنخفضة، وترجمت رسالته إلى عدة لغات ووزعت في جميع أنحاء أوروبا [3].

وفي أثناء ذلك كان وليم اورنج يجمع جيشاً لقتال " الفا " وكان يشعر انه لأقبل له بمنازلة جنود اسبانيا المدربة التي تظهر تفوقها جلياً عندما هزم أخوه لويس نساو عند " جمنجن " وارد هو

---

1 – البطريق ونوار،التاريخ الاروبي، الحديث من عصر النهضة الى عصر مؤتمر فينا ، المرجع السابق، ص 123.

2 – عمر الاسكندري، حسن سليم، تاريخ اوروبا الحديث وآثار حضارتها، المرجع السابق، ص، 139–140.

3 – البطريق ونوار، التاريخ الاروبي، الحديث من عصر النهضة الى عصر مؤتمر فينا، المرجع السابق، ص 125،124،123،.

أن يعوض تلك الهزيمة فلم يتمكن، واضطر إلى الانسحاب بدون قتال، وكادت جميع البلاد أن تكون في قبضة " الفا ".

وكان " الفا " في ذلك الوقت يفرض الضرائب الفادحة على الأهالي لحاجة الحكومة الاسبانية إلى المال، فكان عمله سبباً في تعطيل حركة التجارة في هذه البلاد [1]. عم السخط وساد الكساد اضطر كثير من السكان إلى الهجرة إلى البحر وانضموا إلى ملاحي سفن صيد الأسماك وقراصنة البحر، واتخذ الجميع الفرصة وسيلة للهجوم على سفن اسبانيا، واخذوا يهاجمون الموانئ الصغيرة في الجهات الموالية لها بالأراضي المنخفضة، حيث كانوا ينقضون عليها فجأة وينتهكون حرمة الكنائس ويخربونها ويسلبون مافيها من نفائس ويذهبون لبيعها في ميناء دوفر على الساحل الجنوبي الانجليزي.

كانت انجلترا في أول الأمر تساعد هؤلاء القوم وتحميهم، ثم تنحت عن ذلك لأسباب سياسية، وكان يرأس هؤلاء القراصنة الذين أطلق عليه اسم شحاذي البحر (وليم دي لامارك William de la march) الذي هاجم بأسطوله سواحل زيلندة واستولى على ثغر بل Brille الحصين سنة 1572م. ' ويعتبر استيلاء شحاذي البحر على هذا الثغر بداية للحركات التى ترتب عليها [2] ظهور الجمهورية الهولندية، وأخذت الثورة تتفشى في الولايات الشمالية بسرعة، وقلد وليم منصب ستاتهلد (رئيس الجمهورية) لأعمال هولندا وزيلندة وجلدولندة واترخت، وكان يأمل مساعدة انجلترا وفرنسا له لنشر نفوذه في الولايات الجنوبية أيضاً فلم يحقق أمانيه ، أما الفا فانه بعد طرده "لويس نساو" من "منس" في الجنوب فانه اخذ يغزو الجهات الشمالية، وكان أهم حادث في هذه الحروب هو حصار " هارلم " الذي اظهر فيه الهولنديين ضروب الصبر والشجاعة وحب الوطن، وقد سلمت البلدة أخيراً بعد أن أبلى رجالها بلاءاً حسناً خلد ذكراهم في التاريخ، وبعد ذلك طلب " الفا " من فيليب أن يقيله من حكم البلاد يائساً من نجاحه فيها، فأجاب رجاءه سنة1573م، وقد نصب فيليب مكان هذا القائد العظيم " ركوسينس " ، والذي كان يرغب في إنهاء الحرب، إلا أن اورنج أصر ألا يبرم الصلح إلا بشروط ثلاثة هي:

---

[1] – عمر الاسكندري، سليم حسن ،تاريخ اوروبا الحديث وآثار حضارتها، المرجع السابق ، ص 140.

[2] – البطريق ونوار، التاريخ الاروبي الحديث من عصر النهضة الى عصر مؤتمر فينا ،المرجع السابق ، ص 125.

1- التسامح الديني.
2- استرجاع حقوق البلاد الدستورية.
3- اعتزال كل الأجانب أعمال الحكومة.

فلم يقبل فيليب هذه الشروط واستمرت الحرب، وكان أهم حادث فيها حصار ليدن (1573-15744م)، و لم يئس الهولنديين من خلاصها قطعوا الجسور فطغى الماء عليها وتشتت شمل الاسبانيين، فأنقذت المدينة بذلك، وقد أسس وليم اورنج أول كلية في ليدن تذكاراً لهذا الدفاع المجيد. (1)

أما فيليب فإنه لم يتحول عن رأيه، فطلبت بعض الولايات الى اليعابات ملكة انجلترا أن تستولي على بلادهم، ولكن الملكة رفضت لعلمها أن الوقت غير مناسب لمناوأة اسبانيا ، وفي عام 1576م مات " كوسنس " فجأة، وبموته ثار الجنود لتأخر مرتباتهم وخربوا مدينة " انفرس " واحرقوا منازلها(2) وتركوها خراباً.(3) ، فأثار ذلك غضب أهل الشمال والجنوب جميعاً، فاتحدوا على اسبانيا وابرموا بينهم معاهدة " غنت عام 1576 " الشهيرة واهم شروطها:

1- أن يتحدوا جميعاً على طرد الجنود الأسبان.
2- أن يقضوا على كل أنواع الاضطهاد الديني ويكونوا مجلساً من بينهم تتمثل فيه كل الولايات للبحث في المسألة الدينية.
3- أن يبقى وليم اورنج رئيساً عليهم ويحكم البلاد باسم فيليب.
4- أن يفرج عن كل المسجونين، ويرد كل ما اغتصبته الحكومة إلى أهله. (4)

ولكن الواقع أن دوام الاتحاد بين الشمال والجنوب لم يكن سهلاً ولا متيسراً ولو دام هذا الاتحاد لاستطاعت البلاد المنخفضة أن تنال استقلالها في وقت قصير وبنجاح اكبر، إلا أن الخلافات الناشئة بين الفريقين كانت عميقة بسبب تناقض المصالح بين الشمال والجنوب، وقد لعب الأسبان دوراً كبيراً في إذكاء نار الخلاف والتفرقة وخصوصاً عندما وصل الحاكم الاسباني الجديد

[1] - الشناوي، ورويا في مطلع العصر الحديث المرجع السابق، ص493.

[2] - عمر الاسكندري، حسن سليم، تاريخ أوروبا الحديث وآثار حضارتها، المرجع السابق، ص 141.

[3] - البطريق نوار، التاريخ الاروبي، الحديث من عصر النهضة الى عصر مؤتمر فينا، المرجع السابق، ص 127.

[4] - عمر الاسكندري، حسن سليم، تاريخ أوروبا الحديث وآثار حضارتها، المرجع السابق، ص 141.

(دون جون Don John) اخو فيليب الثاني الذي عين حاكماً عاماً ، واتبع سياسة التقرب من أهل الجنوب، وتظاهر بالموافقة على شرط المعاهدة على شرط ان يبقى الحاكم الاسباني صاحب السلطة العليا في البلاد وان تسلم إليه القلاع الشمالية. [1]

- حكومة دون واتحاد اترخت:

بتسلم دون جون السلطة في البلاد تقلص نفوذ وليم اورنج في الجنوب وانحصر في الولايات الشمالية، ولم يعد كما كان زعيماً لجميع الأراضي المنخفضة، إذ كان أشراف الجنوب يعارضون اراءه ومذهبه، ورأى انه إنما يحاول عبثاً توحيد البلاد كلها شمالها وجنوبها في وحدة واحدة، كذلك لاحظ أن الجنوبيين ليسوا على استعداد لصيانة شروط معاهدة عنت، وان من الخير له ولوطنه أن يقنع بتحرير الولايات الشمالية التي تدين له بالزعامة، ونجح في توحيد سبع ولايات في الشمال في اتحاد واحد اتحاد اترخت عام 1579م وانتخب وليم رئيساً لذلك الاتحاد. [2]

- وفاة جون وتعيين اسكندر دوق بارما:

عندما توفي " دوق جون " ، عين الملك فيليب اسكندر دوق بارما خلفاً له حاكماً عاماً على البلاد ، وكان رجلاً عسكرياً وسياسياً في آن واحد، وكان كل همه تحطيم الجبهة القومية والقضاء على اتحاد اترخت، واستطاع أن يستميل إلى جانبه المقاطعات الواقعة في أقصى الجنوب، وكان صدى ذلك صمود المقاطعات السبع التي كونت اتحاد اترخت وتمسكهم بزعامة وليم اورنج، وعندما وصل أنباء ذلك الاتحاد إلى أسماع فيليب ثارت ثائرته عل وليم اورنج واصدر قراراً يعلن فيه أن وليم عدو البشرية، وانه يمنح مكافأة شخصية لمن يقتله، وقد كان القرار بإباحة دم وليم اكبر الأسباب التي دعت الهولنديين في الولايات الاتحادية إلى العدول عن التظاهر بالولاء لفيليب، وجاهروا رسمياً بالخروج عليه وقالوا: " أن الملك إذا لم يكن في رعيته كالراعي في قطيعه واسترقهم وسار فيهم سير الظلم والطغيان حق لهم شرعاً أن يخلعوه ويولوا غيره"، وقد كان هذا البيان مبدأ تردد صداه في الثورات التي قامت فيما بعد في انجلترا وأمريكا وفرنسا، أما وليم فقد قرر الاستعانة بالدولة الأجنبية، فعرض على انجو شقيق ملك فرنسا أن يكون حليفاً وحامياً للولايات، فقبل الدوق

[1] - البطريق ونوار، التاريخ الاروبي، الحديث من عصر النهضة الى عصر مؤتمر وستفاليا، المرجع السابق،ص 127

[2] – نفس المرجع ، ص129.

ذلك العرض، ولكنه كان يضمر في نفسه أطماعاً سياسية لا يقرها وليم، إذ كان الدوق يهدف إلى الحكم كملك شرعي على تلك الولايات، ولم يقتنع بالسلطة المحدودة التي منحت له، فحاول فرض سلطانه بالقوة فاحتل، بعض البلاد بجنده، وعزم على الاستيلاء على أهم مدنها، وهي: انفرس " انثورب " فدافع أهلها عنها دفاع الأبطال، وعندما فشل انجو عاد إلى فرنسا، وتوفي العام التالي 1584م، ومما هو جدير بالذكر أن انجلترا كانت تتعاطف مع الهولنديين وتطوع عدد من الانجليز مع القوات الهولندية، إلا أنها لم تدم أي مساعدة فعالة لوليم اورنج، وبعد طرد الأمير الفرنسي " دوق انجو " كونت الولايات الشمالية حكومة دستورية برياسة "وليم اورنج"([1]).

وقد كانت حياة هذا البطل كرئيس للدولة مدة يسيرة، لان المكافأة التي أعلن عنها فيليب دفعت بعض السفاحين إلى محاولة اغتياله، ونجح احدهم أخيراً في يوليو 1584م ،وكانت تلك هي المرة السابعة التي حاول الطامعون فيها قتله، وكان لوليم الصامت الفضل الأكبر في إنشاء هذه الحركة والسير بها إلى طريق الظفر، فإنه مع قلة نبوغه في الفنون الحربية كان اكبر قدوة لمواطنيه في الصبر والشجاعة والإقدام، والى بعده نظره ودهائه ولا نكون مغاليين إذ قلنا انه هو المكون لدولة هولندا الحديثة، وقد خلفه ابنه " موريس " الذي اظهر مهارة حربية تفوق مهارة والده وبفضل حذاقته وقدرته ومساعدة " اليزابيث " ملكة انجلترا وهنري الرابع ملك فرنسا، وذلك بينما كانت الجهات الجنوبية قد أخضعها اسكندر بارما لاسبانيا وأصبحت مقاطعاتها العشر تعرف بالأراضي المنخفضة الاسبانية، وأصبح سكانها من البروتستانت أمام اختيارين أما أن يكونوا كاثوليكيين أو يهاجروا إلى الشمال، وهكذا أصبح الجنوب (بلجيكا الحالية) بأكمله كاثوليكيا، بينما ازداد عدد البروتستانت في الشمال، ولكن الكاثوليكية لم تنعدم هناك(أي في هولندا الحالية) بل بقى ما يقرب من ثلثي السكان متمسكين بمذهبهم الكاثوليكي، وكان المذهب الذي ساد اغلب البروتستانت هو مذهب كالفن، واتبع الهولنديين مبدأ التسامح الديني مع مواطنيهم الكاثوليك، وقد ساعد الهولنديين على الاحتفاظ باستقلالهم أن فيليب كان منشغلاً عنهم بمتاعبه التي لا تنتهي في أملاكه الأخرى، وذلك بالإضافة إلى حربه مع انجلتراً وتدمير أسطوله الكبير (الارمادا) 1580م واضطراره إلى إرسال النجدات إلى الكاثوليك في فرنسا وكذلك انشغال حاكم الأراضي المنخفضة اسكندر بارما مابين الحين والآخر بحملات يأمره بها فيليب للسير بها نحو فرنسا مما يضطره للغياب عن البلاد

[1] – البطريق ونوار ، تاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى عصر مؤتمر فيينا ، المرجع السابق، ص128.

فترات من الزمن، وظلت الحروب متقطعة بين الهولنديين بقيادة " موريس اورنج " وبين الأسبان الذين كانوا يرضخون تحت أعباء الحروب التي خاضوها في الميادين الأوروبية العديدة، والتي أدت إلى تحطيم اقتصاديات بلادهم، فلم يكن هناك بدأ من التسليم بالأمر الواقع فيعترفوا بهزيمتهم، لذلك عرضوا في عام 1609م على الجمهورية الهولندية هدنة طويلة الأمد مدتها اثنتا عشر سنة، والواقع أن هذه الهدنة تعتبر اعترافاً ضمنياً باستقلال هولندا، وعلى اثر انقضاء هذه المدة قامت الحرب ثانية واستمرت كذلك حتى "**مؤتمر وستفاليا**" سنة 1648م والذي تضمنت اعترف فيه اسبانيا والإمبراطورية باستقلال هولنده نهائياً. [1]

هكذا انتهت هذه الثورة باستقلال هولندا، وقد كان لنجاح هذه البلاد وظهور اسبانيا اثر في حفظ المذهب البروتستانتي، ولو كانت الغلبة الاسبانية لأدى ذلك إلى تدهور البروتستانت، ولكن ببقائها في أيدي أهلها وقف تيار الإصلاح الكاثوليكي عند حد محدود من هذا العهد أيضاً أخذت هذه البلاد تخطو خطوات واسعة في سبيل العمران والتقدم، وازداد عدد سكانها زيادة عظيمة إذ انزاح إليها كثير من البروتستانت من البلاد الجنوبية (بلجيكا) التي بقيت في حوزة اسبانيا ومن فرنسا وألمانيا. وقد زاد عدد السكان في بعض الجهات حتى ان الكثير من الاسر ضاقت بهم الارض بمارجت فاتخذ القورب في البحار سكنا وقدى ادي ذلك الى تجفيف مستنقع عظيم في الداخل بلادهم وصار لهذه البلاد شأن كبير في عالم التجارة [2]

وفي سنة 1601م تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية بقصد احتكار التجارة في الشرق الأقصى، وأدى نشاط تلك الشركة إلى تأسيس إمبراطورية استعمارية هولندية في أرخبيل الملايو.[3]

وهكذا خرجت هولندا من الإمبراطورية الاسبانية وبدأ تفكك الإمبراطورية الاسبانية.

---

[1] – البطريق ونوار ، تاريخ الاوروبي الحديث، المرجع السابق ، ص130.
[2] – عمر الاسكندري وسليم حسن، تاريخ اوروبا الحديث واثار حضارتها، المرجع السابق، ص144.
[3] - البطريق نوار ، التاريخ الاروبي ، الحديث من عصر النهضة الى عصر مؤتمر فيينا، المرجع السابق، ص 128.

الفصل الثالث

حرب الثلاثين عام وانعقاد مؤتمر وستفاليا (1618 – 1648م)

المبحث الأول: حرب الثلاثين عام ونتائجها 1618 م

المبحث الثاني: انعقاد مؤتمر وستفاليا 1648م

المبحث الأول

حرب الثلاثين عام(1618-1648م)

في هذه الحقبة التي نعرض لها من التاريخ – وهي حقبة اثنين وستين عاماً – ما كان لغير سياسي حاذق ان يدرك ان خطى السيطرة على أوروبا لايتركز في مدريد، وإنما يتركز في سلطان مركزه آل هاسبورج ينبثق من فيينا. بوسنجد ان إضعاف اسبانيا شيئاً فشيئاً، وعجز ملوك هاسبورج النمساويين من توحيد الإمبراطورية، وكذلك ظهور فرنسا بمظهر الدولة الأولى على مسرح السياسة الأوروبية، وبالإضافة إلى توطيد سيطرة هولندة وانجلترا على البحار هي السمات التي تميز تاريخ هذه الحقبة. وفيما يتعلق بالمشكلة الرئيسية للسياسة الدولية الأوروبية، وقتئذ ونعني بها "ميزان القوى" يبدوا أول الأمر للنظرة السطحية ان حرب الثلاثين عاماً التي شغلت نصف هذه الحقبة، والتي أضفت عليها عنوانها بصفة عامة كانت حرباً دينية. ولكن كل ماكان لها من تأثير على مشكلة الدين هو إنها أثبتت – بما كلفت من ثمن باهظ– ان الدين لم يكن في الحقيقة مشكلة عادية، ولايمكن ان تسوى عن طريق الصراع الدولي وإنما تتجلى أهميتها الجوهرية في إنها أعاقت بشكل قاطع وحدة ألمانيا، كما أنها مكنت فرنسا من ان تتبوأ مركزاً سامياً؛ الأمر الذي جعلها تحلم باتخاذ هذا المركز السامي وسيلة للسيطرة الشاملة على أوروبا كلها خلال القرن ونصف القرن التاليين. [1]

نتيجة لذلك فان التاريخ الأوروبي في القرن السابع عشر أصبح مليئاً بالمشكلات التي سببها عدد الدول المتنافسة ذات المصالح المختلفة واصطدام هذه المصالح، رغم انتهاء عامل الدين كعامل ذو أهمية في تشكيل أو توجيه سياسة الدول الخارجية، وذلك نتيجة لعودة الاستقرار والتوازن في داخل الدولة الواحدة حيث اختفت الانقسامات الدينية الداخلية، وتتضح كل هذه الأمور من دراسة حرب الثلاثين عام، أو هي الحرب التي اشتبك فيها الجميع ضد الجميع على قول المؤرخين، والتي كانت أول الحروب في القرن السابع عشر، حيث شارك في هذه الحرب عدد كبير من الدول يفوق بكثير عدد الدول التي شاركت في الحروب السابقة، كما أنها بعد حقبة تحررت من

[1] – سرجون هامرنت، تاريخ العالم، ج6، مكتبة النهضة العربية للنشر والتوزيع، ص 341.

هذه الصبغة الدينية ووضحت للعيان بأنها حرب سياسية بين الأمم التي كانت تريد كل منهما خدمة مصالحها الوطنية الخاصة دون النظر إلى مستقبل أوروبا الديني[1] وهذا ماسوف يتضح من دراستنا لهذه الحرب من حيث أسبابها ومراحلها.

أسباب الحرب:

يبدأ نشوب حرب الثلاثين عاماً من الثالث من مايو عام 1618م وهو اليوم الذي حدث فيه الحادث المشهور الذي سماه المؤرخون باسم حادثة إلقاء الزعماء من نافذة قصر براغ[2]. ولكن هذا الحادث لم يكن السبب الأول لحرب بل هناك أسباب متعددة ومتنوعة أدت إلى نشوب حرب الثلاثين عاماً منها ما كان متصلاً بتعاقدات سابقة وهفواتها، ومنها ما كان متصلاً بطبيعة التربية المذهبية الأوروبية من جهة التحالفات المضادة من جهة أخرى[3].

ويمكن أن نلخص أهم تلك الأسباب الدينية والسياسية في الآتي:

1- فشل صلح اوجزبرج الديني عام 1555م في التوفيق بين مطالب الكاثوليك والبروتستانت على السواء، واعتبره الطرفان بمثابة هدنة تتيح لكل طرف ان يحسن موقفه على حساب الطرف الآخر، ولذا فإن أملاك الكنيسة الكاثوليكية التي صارت بعد هذا الصلح معرضة لأطماع البروتستانت وكان ذلك من أسباب تذمر وغضب أتباع البابوية المستمر في ألمانيا وإحداث الحكومات الكاثوليكية في ألمانيا تضطهد البروستانت.

- لم يفسح صلح اوجزبرج المجال للكلفينية التي كانت قد بدأت تنتشر في أوروبا عامة نتيجة لنشاط دعاتها وفي ألمانيا بخاصة، ولذا فان أتباع الكلفينية قاموا يعارضون الحكومات ويجاهدون ضد مساعي الكنائس مقدمين أنفسهم للنصيحة من غير خوف، بخاصة وان الكلفينية صارت معرضة للأخطار التي تهددها في وجودها نفسها، حيث أنها كانت في حاجة إلى سند قانوني تستند إليه لاستمرار وجودها لأن صلح اوجزبرج لم يعترف بالكلفينية كمذهب جديد.

[1] – زينب عصمت راشد، تاريخ اوربا الحديث مطلع القرن السادس عشر الي نهاية القران الثامن عشر.القاهرة 1998م ص306.308.

[2] – سرجون هامرنت ، تاريخ العالم ، المرجع السابق ،ص389.

[3] – صالح حسن العيكلي ، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة ، المرجع السابق ، ص112.

- عندما ازداد انتشار البروتستانتية في شمال ألمانيا وجنوبها اضطرت الكنيسة والأمراء الكاثوليك إلى العمل بجد ونشاط في حركة الإصلاح الكاثوليكية وقدم فيليب الثاني ملك اسبانيا واليسوعيين خدمات كبيرة للكنيسة، وأخذت الحكومات الكاثوليكية في ألمانيا تضطهد البروتستانت وعاد عدد كبير من الأمراء إلى اعتناق المذهب الكاثوليكي، فخاف البروتستانت عاقبة ذلك الأمر وكونوا اتحاد في عام 1608م أسموه الاتحاد البروتستانتي للدفاع عن مصالحهم المشتركة، فأسس الكاثوليك في عام 1609م لمواجهة الاتحاد (الحلف المقدس) أو ماعرف كذلك باسم العصبة الكاثوليكية، وبذلك انقسمت ألمانيا إلى معسكرين كانا على استعداد للاشتباك في حرب عند أول فرصة سانحة، وكان الكاثوليك بزعامة مكسمليان دوق بافاريا أكثر قوة وتنظيماً في الوقت الذي كان فيه البروتستانت بسبب انقسامهم بين لوثريين وكلفين مترددين، ووصل الخلاف بينهم في الكثير من الحالات إلى درجة العداء السافر، ولم يؤيد فردريك الخامس كونت البلاتاين وكان كلفينيي وكان في نفس الوقت مؤيداً الاتحاد البروتستانتي تأييداً كاملاً [1].

- ان صلح اوجزبرج لم يضع مبادئ السلام وأسسه الدائمة بين غالبية سكان ألمانيا وجنوبها الكاثوليك وأكثرية سكانها البروتستانت في الشمال.

- أعتبر البروتستانت والكاثوليك صلح أوجزبرج مجرد هدنة، فعمد الكاثلويك إلى إعادة ما أمكنهم من البروتستانت إلى الكاثوليكية تساعد على ذلك حركة الإصلاح الكاثوليكي المضاد، كما أنهم عملوا على تنفيذ مقررات مجمع ترنت كما ثبتوا دعائم الكاثوليك في بولندا وفي الأراضي المنخفضة التابعة لاسبانيا وفرنسا، فساد المذهب الكاثوليكي في اسبانيا وايطاليا طبعا، وهو ماجعل الأمل بعودة ألمانيا إلى الكاثوليكية يتجدد، بينما عمد البروتستانت على تثبيت مواقعهم بين سكان ألمانيا الشماليين، ونشر مذهبهم في المناطق الجنوبية كالنمسا مثلاً [2].

---

[1] - زينب عصمت راشد، المختصر في تاريخ أوروبا الحديث مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، القاهرة، 1998، ص ص 306-388، للمزيد انظر: عبدالحميد البطريق وعبدالعزيز نوار، المرجع السابق، ص 170-172.

[2] - صالح حسن العيكلي ، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة ، المرجع السابق ، ص 113.

2- ظهور الدولة الوطنية الحديثة التي وجدت ان من صالحها في ظروف معينة ان تستفيد من الصراع الديني الذي ساد ذلك القرن في تحقيق أغراضها السياسية التي اعتبرتها حيوية بالنسبة لبقائها وتوطيد أركان قوتها. وكانت فرنسا على رأس الدولة الحديثة التي عملت لهذه الغاية، ولو ان تنفيذها لهذه السياسة كان في نطاق ضيق، حيث اقتصر على خدمة أغراض مباشرة ومحدودة، وهي الحصول على تول Taol ومتز Metz وفردان Verdan. ولذا برز مبدأ المحافظة على التوازن الدولي في أوروبا على شكل أمر ضروري، حيث أصبحت سياسة التوازن الدولي موجهة ضد الهابسبورج. ثم ضد اسبانيا. حيث هددت كلا منهما في وقت من الأوقات بفرض سلطانها على أوروبا. (1)

3- العامل الاقتصادي الذي نجم عن تدفق معدن الفضة بصورة وافرة على أوروبا منذ أن تمكن الأسبان من إيجاد ممتلكات جديدة لهم غنية بمعدن الفضة، وذلك في الجزء الشمالي الغربي من أمريكا الجنوبية، وفي بيرو والمكسيك وبوليفيا، حيث تدفق هذا المعدن على أوروبا، مما احدث ثورة في الأسعار، الأمر الذي أعطى لقسم كبير من الطبقة المتوسطة فرصة الظهور والتأثير على الأوضاع التي كانت قائمة. حيث قضت هذه الطبقة على بقايا الأوضاع المتخلفة من العصور الوسطى.

وعند نهاية القرن السادس عشر، وبداية القرن السابع عشر نجد ان مجموعة من الأمم المسلحة قد ظهرت إلى عالم الوجود، وسارت في المائة عام التالية في طريق تغيير جديد نتيجة العاملين:

- زيادة أجور الصناع والعمال وصغار الطبقة المتوسطة حتى وصل مستواها إلى مستوى الأسعار المرتفعة في نهاية القرن السابع.
- زيادة عدد الدول التي أصبحت تشارك فعلياً في تشكيل حوادث وتاريخ أوروبا في القرن السابع عشر وفرنسا وهولندا والدانمارك والسويد.(2) وفي ألمانيا نفسها حيث أصبحت الملكية المطلقة في الإمبراطورية ظل الإمبراطور صاحب السلطة العليا فعلاً، له وحده إيفاد السفراء إلى الخارج وتمثيل الإمبراطورية، ومنه يتلقى الأمراء الإقطاعياتهم رغم أنها صارت وراثية، وله عليهم يمين الولاء وهو وحده الذي يصدر قرارات الحرمان الإمبراطورية، وهو لايخطئ على حين كان من حقه ان يعاقب السلطات الأخرى في الإمبراطورية(3)

---

[1] - عبدالرحيم عبدالرحمن ، التاريخ الاروبي الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص 98 .

[2] - نفس المرجع ، نفس الصفحة .

[3] - سرجون هامرنت ، تاريخ العالم ، المرجع السابق ،ص389.

4- ضعف الإمبراطورية:

ولكن اذا اشتملت الإمبراطورية على عناصر القوة فأنها اشتملت ايضاً على عناصر الضعف، ويعزى ذلك من جهة إلى طابع الإمبراطورية الانتخابي، وهو الطابع الذي مكن الأمراء الناخبين المساومة للحصول على " حريات " جديدة من كل مرشح جديد للتاج الإمبراطوري، ومن جهة أخرى يعزى ذلك الضعف إلى أثر النهضة الأوروبية الكبرى والإصلاح الديني، وولدت في ايطاليا أثناء النهضة فكرة الدولة الحديثة المتمثلة في وحدة إقليمية، ذات السيادة المطلقة ومسؤولة امام نفسهافقط على عكس فكرة العصور الوسطى التي تمثلت في "ولايات" ذات حريات محددة ومسئوليات أمام سيد إقطاعي يكون أو لايكون اجنبيا بعيدا عنها، وفي خلال القرن السادس عشر والسابع عشر أدت فكرة الدولة ذات السيادة إلى تركيز السلطة في أيدي الملوك في معظم البلاد الأوروبية، غير أنها أحدثت أثراً عكسياً في ألمانيا. لماذا لأن كبار الإقطاعيين قد ساعدتهم في توطيد سيادة الأمر الواقع، واخذ الأمراء يعتبرون أقاليمهم دولاً لا ولايات إقطاعية،و كذلك ساعدت حركة الإصلاح الديني مساعدة قوية في هذه الاتجاه بالقضاء على التجانس إذ لم تكن الوحدة السياسية في الإمبراطورية التي كانت ذات مظهر روحي وآخر دنيوي عام، وذلك حينما انتصرا البروتستانتية عمدت هذه الحركة إلى تنظيم الكنيسة على أساس إقليمي، فأقام كل حاكم إقليمي كنيسة على الطراز الخاص به، سواء أكان هذا الطراز شانها لوثرياً أم إصلاحياً من بعد لوثر، واخذ لنفسه في الشئون الدينية سيادة من شلتها إخضاع الكنيسة لسلطة الدولة، والقضاء حتى على مزاعم الإمبراطورية بوصفه حامي الكنيسة[1].

انتهى النضال الذي دار حول تلك المشكلة في القرن السادس عشر إلى حل وسط بعقد صلح اوجزبورج الديني عام 1555م بين الكاثوليك وأتاح اعتراف اوجزبورج المعروفين باللوثريين فيما بعد، و بقسيمة تم الاتفاق على ان يكون لكل أمير ان يطرد من اقليمه من لايعتنق الدين الذي قيمه هو في ذلك الإقليم، فضلاً عن ذلك صار مسموحاً للوثيرين الاحتفاظ بما استولوا عليه من أملاك الكنيسة قبل معاهدة باساو 1552م غير انه أضيف إلى تلك المعاهدة مادة مشئومة معروفة باسم " التحفظ الكنسي " ، وهي المادة إلي قضت بحرمان كل أمير روحي من إمارته إذا قبل

---

[1] - سرجون هامرنت ، تاريخ العالم،ج2، المرجع السابق، ص 389 .

باعتراف اوجزبرورج في المستقبل، وعارض اللوثرين شرعية المادة، كما أثار حق الكاثوليك باعتناق المذهب البروتستانتي بعد ذلك بعض الأساقفة، واحتفظوا بأراضي أسقفياتهم على أنها إمارات علمانية، واهم من ذلك كله ان المعاهدة طبقت على اللوثريين وحدهم واستبعدت عمداً أتباع كلفن الذين كان منهم جماعة من أقوى أمراء الإمبراطورية نفوذاً، ومن الواضح ان هذه التسوية التي ظلت قائمة حتى بداية القرن السادس عشر الميلادي كانت تحمل بذور المتاعب المستقبلية اذ أدرك الأمراء الكلفينيون ان بقاء مذهبهم وأراضيهم التي انتزعوها من الكنيسة يتوقف على قيام إمبراطور ضعيف، وفضلاً عن ذلك فان المعاهدة نفسها كانت محل الطعن حينذاك إذ اعتبرت البابوية ان شروط صلح اوجزبورج مؤقتة إنما يسري مفعولها مادام الخلاف الديني قائمة في الكنيسة، لكن البابوية رأت الآن ان هذا الخلاف انتهى بصدور قرارات مجلس ترنت عام 1564م، وهو القرار الذي ألغى اتفاقية اوجزبروج، وعلى ذلك فإن انتعاش الكاثوليكية كان خطر يهدد الأمراء البروتستانت لا في عقيدتهم فحسب بل ايضاً في نفوذهم وأموالهم [1].

هكذا يرى الباحث ان العامل الديني هو الاساس في هذا الصراع وبداية تصادم المصالح السياسية والاقتصادية بين دول أوروبا وخاصة بين فرنسا اسبانيا حيث كلاً منهما تحاول تحقيق السيطرة على أوروبا وجدت في الاقسام الديني حجة في التدخل في شؤون اوروبا.

وفي نهاية القرن اجتمعت كل تلك الأسباب في انفجار لهيب حرب استمرت ثلاثين عام (1618–1648م) فقد اتخذت أول صراع ديني مختبئ في طياته نية بعض الدول في تحقيق مكاسبه السياسية وسوف نتطرق إلى هذا الجانب من خلال دراستنا لمراحل هذه الحرب أو حرب الثلاثين عاماً.

اندلاع الحرب:

بدأ القتال بين الفريقين في بوهيميا وهي مملكة المانية تتمتع بالاستقلال منذ عام 1526م مما أعطاها وضعاً مميزاً وذلك حينما أراد الإمبراطور رودلف الثاني (1576–1612م) ومن بعده اخوة ماتياس Mathias (1612–1619م) تأسيس حكومة مركزية قوية في ألمانيا، وكانت

[1] – سرجون هامرنت، تاريخ العالم، المرجع السابق، ص 389–391.

وسيلتهما في ذلك القضاء على الانقسام الديني كي يمكن القضاء على الانقسام السياسي الداخلي، وعلى اعتبار ان القضاء على الخلاف الديني من شانه تدعيم سلطان الإمبراطورية. (1)

ولذا ازداد اضطهاد البروتستانت لدرجة كبيرة فقاموا بالثورة في مايو سنة 1618م وهاجموا قلعة براغ مقر الحكومة والقوا القبض على الأعضاء الكاثوليك وأنصار الإمبراطورية والقوا بهم من النافذة تطبيقاً للتقليد السائد في بوهيميا كتعبير عن المعارضة وشكلوا حكومة جديدة من أنصارهم، وفي 26 أغسطس 1619م انتخب فرديناند الثاني (1619–1637م) إمبراطور بعد وفاة ماتياس، في نفس اليوم أعلن أهالي بوهيميا خلعه ونادوا بفردريك الخامس ناخب (كونت) البلاتين و رئيس الاتحاد البروتستانتي وزوج الأميرة إليزابيث ابنة ملك انجلترا ملكاً على بوهيميا، وحينئذ تحولت هذه المقاومة وصراعاً المحدودة إلى ثورة أهلية وسرعان ماتحولت هذه الثورات إلى حرب أوروبية استمرت ثلاثين عاماً ومرت بأربع ادوار وهي:(2)

الدور الأول: الدور البوهيمي البلاتيني (1618–1623م):

وفي هذا الدور لم تخرج الحرب عن بوهيميا والبلاتينات، وذلك ان الثوار عندما أقاموا حكومتهم طلبوا المعونة من الاتحاد البروتستانتي وانتخبوا فردريك منتخب البلاتينات ملكاً عليهم، فحاول الإمبراطور فرديناند الثاني الذي خلف ماتياس ان يرجع بوهيميا في حوزة الكاثوليكية، ولكنه لم يكن بملك المال الكافي أو الجيش المدرب للقيام بهذه المهمة فطلب المساعدة من مكسمليان دوق بافاريا ورئيس الحلف المقدس الكاثوليكي، وكان مكسمليان غير راغب في ترك فردرريك ملكاً على بوهيميا وبدأت الحرب بين الجانبين، والتقى الطرفان في موقعة التل الأبيض Whie Hill خارج براغ في 8 نوفمبر 1620م وانتصرت فيها القوات الكاثوليكية بقيادة القائد " تلي Tilly " وترجع أسباب هزيمة البروتستانت في هذه الموقعة إلى عدم كفاءة فردريك ولضعف الاتحاد البروتستانتي والانشقاق الموجود بين صفوفهم، وكانت نتيجة الهزيمة ان أعيدت بوهيميا إلى حوزة حكم الإمبراطور كما كانت من قبل، وكان من الممكن ان تنتهي الحرب عند هذا الحد لولا توغل الكاثوليك داخل ممتلكات فردريك البلاتينية، واحتلالهم هذه المقاطعات منه، كما أعلن

---

[1] -زينب عصمت راشد، تاريخ اوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر، المرجع السابق ، ص306.

[2] – سرجون هامرنت، تاريخ العالم، المرجع السابق، ص 389.

الإمبراطورمكسمليان خلع فردريك وتجريده من أملاكه ليأخذهامكسميان وباتت سياسة الدولة القضاء على البروتستنية ودعامتها القومية ، وأعطت لليسوعيين سلطة كاملة للإشراف على التعليم والمدارس، وفرضت الكاثوليكية بقوة القانون على الجميع ، فأثار هذا العمل الشعور البروتستانتي في كل أنحاء أوروبا، وفي ذات الوقت كان " جيمس الأول " ملك انجلترا_وصهر فردريك منشغلاً بمنازعاته مع البرلمان وغير قادر على الدخول مباشرة في الحرب لمساعدة صهره المنهزم ،_هذا إلى جانب انه كان يفضل دائماً عدم الدخول في حرب ما مفضلاً الوصول للسلام عن طريق المفاوضة، وكذلك كان "جوستاف ادولف Gustivus odolphus" منشغلاً بحروبه ضد روسيا، ولم يكن هنالك غير ملك الدانمارك " كرستيان الرابع christien " الذي استجاب لنداء البروتستانت 1625م ودخل الحرب إلى جانبهم مستمداً العون المالي من انجلترا، وعندئذ بدأ الدور الثاني من حرب الثلاثين عاماً [1].

الدور البوهيمي:

1- بدء حملة بطش وتنكيل للبروتستانت.
2- هجرة آلاف الأسر البوهيمية بسبب اضطهاد تلك الحملة.
3- تدفق اليسوعيين على بوهيميا لتبدأ عملية تجمعهم.
4- إعادة المملكة البوهيمية إلى سيطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة تحت حكم الإمبراطور فرديناند.
5- خسارة كثير من النبلاء الجيك حياتهم وأرضهم.
6- منع ممارسة الشعائر البروتستانتية في بوهيميا.
7- استيلاء الجيش الاسباني على ولاية البلاتينات.
8- خسارة فردريك لممتلكاته في ولاية البلاتينات.
9- إلحاق ممتلكات ولاية البلاتينات بولاية امير بافايا مكافأة لخدماته للإمبراطور.
10- إجبار سكان البلاتينات على اعتناق الكاثوليكية بعد ان كانو كلفينين.
11- أصبح فردريك هارباً متشرداً وفي حالة يرثى لها.
12- أصبحت اسبانيا تلعب دوراً مهماً في أوروبا بين عامي 1621-1625م.

[1] – زينب عصمت راشد تاريخ اوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر، المرجع السابق ، ص306.

وهكذا انتهى الدور البوهيمي في حرب الثلاثين عاماً لصالح الإمبراطور وهزيمة الثوار البوهيميين [1].

الدور الثاني: الدور الدانمركي (1625–1629م):

برزت في أعقاب الحرب البوهيمية حقيقتان:

- الأولى: ان الأسبان اخذوا يقيمون التحصينات في منطقة الراين ويقيمون مراكزهم ضد الفرنسيين والهولنديين.
- الثانية: ان أسرة الهابسبورج استعادت سيطرتها على بوهيميا وحشدت قواتها على أعدائها.

وقد انتخب فرديناند ملكاً على بوهيميا وصادر مايقرب منتصف ممتلكات النبلاء وأراضيهم، ومنحها للكنائس الكاثوليكية والأديرة، وللمغامرين الذين وقفوا إلى جانبه في الحرب ضدّ بوهيميا" وبدأت كتلة بوهيميا من جديد، كما انضم اللوثريون وسكسونيا إلى جانب الإمبراطور.

وأفضت هذه الانتكاسة في الجانب البروتستانتي إلى إحلال الاتحاد البروتستانتي في عام 1621م وانتقلت قيادة الشؤون البروتستانتية إلى يد ملك الدانمرك كريستيان الرابع Christian iv الذي كان لوثرياً متديناً عميق الإيمان، والذي كان في الوقت ذاته دوق الإمارة هولشتاينKHolestian وهي ولاية تابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة، وقد كانت له أهداف سياسية إلى جانب تعصبه المذهبي.

فقد كان يأمل ان يستولي على بعض الأبرشيات في ألمانيا، ويكون منها مملكة باسم ولده الصغير، هذا إلى جانب إدراكه ان انتصار الكاثوليك الألمان يهدد مصالحه، ولذا فانه دخل الحرب معتمداً على مساعدة قليلة من الهولنديين والانجليز، وعلى وعود ريشليوا وبذلك بدأ الدور الثاني من حرب الثلاثين عاماً، و حشد الإمبراطور فرديناند جيشاً كبيراً لمقاتلته تحت قيادة ولنشتاين wallenstilen المعروف بمقدرته على جمع الجند المرتزقة من مختلف الجنسيات ممن يجيدون القتال ويفضلون حياة النهب على الحياة بالرواتب والمخصصات، وتمكن ولنشتاين، ومن معه من

[1] – صالح حسن العكيلي ، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة ، المرجع السابق ، ص 115.

قواد الإمبراطور من هزيمة ملك الدانمرك في موقعتي لوثر Latter وكوزالCosel، وحزب كل من إقليمي شلزوينج Schelswig، وهولشتاين Holestein، وبلغت القوات الكاثوليكية ساحل بحر البلطيق، وبدأت غزو شبه الجزيرة الدانمركية نفسها.

حاول ولنشتاين بعد ذلك التوسع نحو الساحل لتقوية دفاعه ضد أي غزو محتمل من جانب السويد، وفي الوقت نفسه إستغل موارد الموانئ بفرض الضرائب فيها لإعالة جيشه، والإنفاق على مطالب المرتزقة من قواته،وقد رفضت ميناء سترالند Sturalsundالإذعان لما فرض عليها واستعدت للحرب والدفاع فحاصرها ولنشتاين في مايو 1628م لمدة خمسة أشهر[1]، ولكنها استبسلت في الدفاع، ولما يئس ولنشتاين رفع لحصار عنها، وعل اثر ذلك أدرك كل من الإمبراطور فرديناند وكريستيان الرابع ملك الدانمرك إنه لامفر من الاتفاق على ذلك، وتم صلح لوبك Laleck بين الطرفين سنة 1629م على شرط ان يتنازل كريستيان عن إدعاءاته الأسقفيات الالمانية نظير ان يسترد أملاكه الوراثية، وهي هولشتاين Wellenstien وشلزوينج scheiswig وجنتلندJuitand. وبذلك قوى مركز الإمبراطور وشعر البروتستانت أنهم اصحوا تحت رحمة الكاثوليك الذين حرصوا من جانبهم على إصدار مرسوم لإعادة Edict lo Restitution الذي أعطي للكنيسة الكاثوليكية الرومانية حق استعادة كل الأملاك التي انتزعت منها منذ صلح اوجزبروج 1555م فأزعج هذا المرسوم جميع البروتستانت في أوروبا. وقد خشى حكام الدول من نوايا الإمبراطور فرديناند، وكان من بين من خشوا هذه النوايا الفرنسيون والسويديون، وكان " ريشليو " قد سيطر على السياسة الفرنسية انئذاك، لكنه كان مشغولاً بكسر شوكة أشراف فرنسا من جهة وقمع حركة الهيجونوت من جهة أخرى، ولذا نجده يكتفي بتأييد المغامرة التي قام بها " جوستاف ادولف Custavus Adolphas ملك السويد " وتزويده بالمال اللازم للمغامرة وقيامه بالاتصالات ببعض الولايات الكاثوليكية الألمانية لإثارتها ضد الإمبراطور وتخويفها من ان الإمبراطور يعمل على ان تكون السلطة الألمانية كلها مركزة في يده، وبدخول جوستاف ادولف الحرب يبدأ ماعرف بالدور السويدي من حرب الثلاثين سنة[2].

---

[1] – David Ogg Earope in the 17^{th} cen taig P.142.

[2] – هربرت فيشر، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص 245.

الدور الثالث: الدور السويدي (1630–1635م):

كان جوستاف اودلف Custavus Adolphas ملك السويد المعروف بتمسكه بالبروتستانتية من اقدر القواد الأوربيين في القرن السابع عشر، وحاكماً قديراً تمكن من جمع الشعب السويدي تحت لوائه، وتكوين جيش مجهز بأحدث الأسلحة ومدرب على أيدي خبراء من العسكريين الهولنديين. [1]

كانت سياسة السويد في ذلك الوقت ترمي إلى جعل بحر البلطيق تحت النفوذ، ولهذا الهدف دخل جوستاف في حروب مع روسيا وبولندا، وفي نفس الوقت خشي جوستاف ان تنجح سياسة ولنشتاين، وتزداد قوة أسرة الهابسبورج وتكون دولة قوية مجاورة للسويد وتصبح مزاحماً قوياً في مجالات التجارة والملاحة للسويديين الذين كانوا انذاك حريصين كل الحرص على السيطرة على خطوط المواصلات في شاطئ البلطيق، وقد كان هذا العامل الأخير من أقوى العوامل التي دفعت بجوستاف للقيام بمغامراته الحربية، بالإضافة إلى حماسته الدينية وغيرته على طائفة البروتستانت الذين كانوا يعيشون في مأساة كبرى عقب هزيمتهم في ألمانيا. [2]

ولكل هذه الأسباب مجتمعة نزل جوستاف بقواته في ألمانيا في يونيو 1630م وتعلقت به آمال البروتستانت في كل مكان، اعتقد هو ان أمراء الولايات البروتستانتية سوف يسارعون للانضمام إليه؛ إلا أن أمير سكسونيا وأمير براندنبرج كان رافضاً التعاون معه ومخيباً أمله في مساعدة الولايات البروتستانتية. ولكن جوستاف عمل جاهداً على استمالة الإمارات البروتستانتية إلى جانبه فانضمت اليه سكسونيا بعد تردد، ثم تبعتها باقي الإمارات البروتستانتية، وعندما دخل الجيش السويدي ألمانيا كان القائد " تلي Tliy " يحاصر مدينة " مجدبرج Magjeburg " في سكسونيا، ويذبح الآلاف من سكانها البروتستانت، ولما تقابل الجيشان انهزم " تلي " في سبتمبر سنة 1631م في موقعة " بريتفلد Bretehpild " بجانب ليبزج Leipzig جعل ألمانيا الشمالية تحت رحمة السويد، وواصل جوستاف والحلف البروتستانتي انتصاراته حتى ساد النفوذ البروتستانتي، وهدد ميونخ وفيينا وبراغ، فاضطر الإمبراطور فرديناند إلى دعوة ولنشتاين وكان قد

---

[1] - عبدالرحيم عبدالرحمن ، التاريخ الاوروبي المعاصر، المرجع السابق، ص 105 .

[2] - هربرت فيشر، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص 245.

عزله 1630م بناء على مشورة لجمعية الألمانية التي خشيت عواقب سياسته التي كانت قائمة على التقليل من سلطة أمراء المقاطعات، وإخضاع ألمانيا تماماً لسلطة سيد واحد، وبذلك تم اتحاد ألمانيا تحت لواء الإمبراطور، ونشر جنوده لتحقيق هذا الغرض، واشتد في معاملة البروتستانت فاثأر الشعور مرة أخرى، فعزله الامبراطور، وقد اشترط ولنشتاين لعودته شروط اهمها لايوجد للامبراطور غير جيش واحد، ذلك ليقضي على نفوذ العصبة الكاثوليكية، وإلغاء مرسوم الاعادة 1630م، والقاضي بإرجاع ممتلكات الكنيسة التي كانت في حوزة البروتسانت لان ولنشتاين كان يعتمد في جميع جيوشه على البروتستانت والكاثوليك على السواء، وقد قبل الإمبراطور شروط ولنشتاين وعاد هذا القائد إلى ميدان القتال، وتقابل مع قوات جوستاف في موقعة " لتزن Latzen " 16 نوفمبر 1632م، وهزم ولنشتاين في هذه الموقعة، غير ان السويديين خسروا قائدهم وملكهم " جوستاف " الذي قتل في معركة فخلفه " كسنسستيرن Oxenstiern " ولكنه لم يكن على طراز " جوستاف " فانهزمت القوات السويدية في 16 اكتوبر سنة 1634م في موقعة " نوردلنجن Nordlingen "، وفي تلك السنة أيضاً قتل ولنشتاين في بلدة ايجر Egoy " في 25 فبراير 1634م بسبب ما ساعيه للصلح ضد رغبة الإمبراطور، وأوشكت الحرب عند هذا الحد ان تنتهي لان كلاً من الكاثوليك والبروتستانت في ألمانيا سئما ماجلبته هذه الحرب من الويلات والخراب، وعقد فعلاً سنة 1635م صلح براغ بين الإمبراطور وسكسونيا ثم اتبعتها باقي الإمارات البروتستانتية الألمانية، وبذلك بدأت الحرب كأنها قد انتهت بالنسبة لألمانيا بعقد صلح براغ سنة 1635م ، ولكن جدت على الموقف عوامل كانت سبباً في إطالة أمد الحرب ثلاث عشرة سنة، وذلك ان فرنسا لما علمت بهزيمة السويد دخلت الحرب فعلاً سنة 1635م[1] .

ويمكن ان نقول انه بدخول فرنسا الحرب انتهى العامل الديني للحرب كلية لأننا نجد ان فرنسا الكاثوليكية تحارب إلى جانب البروتستانت، لان فرنسا وبفضل سياسة ريشيلو كانت تريد إنزال أسرة الهابسبورج من مركز الزعامة في أوروبا، ونقل هذا المركز لفرنسا، واصبحت بفضل سياسة ريشيلو التي كان يريد إنزال أسرة الهابسبورج من مركز الزعامة في أوروبا، ونقل هذا المركز لفرنسا، وهي نفس السياسة للملك هنري الرابع (1589–1610م) الذي وضع مشروعاً لمناوأة أسرة الهابسبورج في أوروبا، ولكنه قتل سنة 1640م تاركاً لخلفائه مهمة اخذ زمام الزعامة لفرنسا في أوروبا، كان تدخل

---

1 - هربرت فيشر ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، المرجع السابق ، ص 245 .

فرنسا تدخلاً مباشراً في هذه الحرب هدفه الرغبة في خدمة مصالحها السياسية، واستمرت الحرب بين الجانبية وانتقل ميدانها إلى الأرض المنخفضة، التي كانت تابعة لاسبانيا حليف الإمبراطور، ولم تستطع الجيوش الفرنسية في البداية إحراز نصر على القوات الاسبانية والنمساوية بل حلت بها الهزيمة، ولكن جنود فرنسا سرعان ماتدربوا على القتال والحرب وظهر قواد فرنسا كأعظم قواد الحرب في ذلك الزمان، وبخاصة القائدين "كندية Cande" و"تورن Tarenne " وبدأ النصر يصاحب القوات الفرنسية في مواقع عدة كان أهمها موقعة "ركروى Rocroy " في الأراضي المنخفضة سنة 1643م، وبذلك لحقت بألمانيا أضرار بالغة من جراء الحرب، فقد تعطلت مصالحها وعمتها الفوضى، وانتشر الفساد بانتشار الجنود في البلاد، ومات الإمبراطور فرديناند الثاني عام 1637م وخلفه الإمبراطور فرديناند الثالث (1637–1657م). وكانت الحرب قد تحولت إلى حرب دولية فوق ارض ألمانيا، وساد الشعب الألماني استياء وطني اتجاه الغزو الأجنبي، حتى أخذت آثاره تظهر بوضوح، وأخذت الولايات الألمانية تطالب بالصلاح وبإيجاد تسوية دينية نهائية وبإصلاح الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وبعد مفاوضات طويلة انتهى الأمر إلى مؤتمر وستفاليا Estphlia سنة 1648م والذي يعد من المعاهدات الأوروبية المهمة التي لم تغير معالمها الا الثورة الفرنسية، وبتوالي الكوارث والهزائم اضطر الإمبراطور إلى ان يجنح للسلم، فقد كانت الجيوش الفرنسية تزداد عنفواناً والنصر يحالفها في كل المعارك تحت قيادة الأمير " كندية Cande " والقائد الكبير " تورن Tarenne "، بينما كانت الجيوش السويدية من جانبها منتصرة على طول الخط. [1]

وبذلك رسخت معالم انتصار فرنسا والسويد من الوصول إلى أهدافهم السياسية والاقتصادية، وبالفعل بدأت المفاوضات والسلام حتى تم التوصل إلى تسويات صلح مؤتمر وستفاليا 1648م الذي كان انتصاراً للدبلوماسية الفرنسية والسويدية على حداً سواء وبدأت فرنسا تتزعم القارة الأوروبية.

---

[1] – هربرت فيشر ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، المرجع السابق ، ص 250–254.
للمزيد انظر: البطريق ، نوار، التاريخ الاروبي الحديث، المرجع السابق، ص 177.

نتائج الحرب

1- انعقاد مؤتمر للسلام وهو مؤتمر واستفاليا (1648)

2- إنها مهدت الطريق للحرية الدينية والتسامح الديني.

3- أصبح التمثيل الدبلوماسي وتبادل السفراء عرفاً شائعاً بين الدولة الأوروبية بعد الحرب.

4- تعامل الدول ذات السيادة مع بعضها على أساس المساواة من خلال المعاهدات التجارية والتحالفات الدفاعية.

5- أصبحت الدبلوماسية مهنة في حد ذاتها.

6- ظهور القانون الدولي إذ يعد كروسيش الهولندي مؤسس القانون الدولي الذي ألف كتاب في ذلك تحت عنوان " مقال في قانون الحرب والسلم " الذي كتبه عام 1619م في السجن، أي بعد عام واحد فقط من اندلاع حرب الثلاثين عام ونشر في عام 1625م، استند فيه على الفلسفة اليونانية القديمة، وأكد فيه على مبدأ حب لغيرك ماتحب لنفسك، وان الحرب لامفر منها لاعتمادها على العواطف والأهواء.

7- تقلص الإمبراطورية الرومانية المقدسة وتدهورها، وفقدانها الكثير من ممتلكاتها وضعف سلطتها على أمراء الألمان.

8- تأجيل الوحدة الألمانية بسبب

- أنانية أمراء الولايات.
- تدخل الأجانب في شؤون ألمانيا كفرنسا والسويد والدانمارك.
- تحول ألمانيا إلى أراضي قاحلة بفعل الحرب والتدمير للأسباب التالية:
- قضت الحرب على ثلثي السكان الذي بلغ مجموعهم (11) مليون نسمة.
- ضربت 5/6 من القرى والأرياف.
- أصبح 1/3 الأرض في شمال ألمانيا غير قابلة للزراعة.
- انتقلت التجارة الألمانية إلى هولندا وفرنسا.
- كانت ارضي البلاد قد تحولت إلى ساحة رئيسية للحرب.

9- تعرقلت الصناعة في الإمبراطورية وانعدم التعليم، وسادت الخرافات فيها.

10- الضعف المالي والفكري لدى بعض الدول المشاركة مثل اسبانيا [1]

[1] - صالح حسن العكيلي ، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة ،المرجع السابق، ص 126 -127 .

المبحث الثاني

مؤتمر واستفاليا 1648

انتهت حرب الثلاثين عاماً بين الإمبراطورية الجرمانية من جهة، وبين فرنسا والسويد من جهة أخرى بمؤتمر واستفاليا، وهو الإسم الذي أطلق على جملة الاتفاقات والمعاهدات التي وقعت بين الأطراف الرئيسية بين 14–21أكتوبر 1648م ([1])

لقد عنيت في هذا الموتمر لوضع حد للمفاهيم القديمة التي كانت تقضى بخصوع الدول لنظام رئيسي أعلى منها فيما يخص بالشؤون الزمنية، وهو نظام الامبراطور في الامبراطورية الرومانية المقدسة، ولبعتها في الشؤون الروحية لسلطة دينية وهي السلطة المتمثلة في الكنسية الكاثوليكية، وان اهم ماجاء به موتمر وستفاليا من مقررات تتعلق بتنظم العلاقات الدولية. والمذهبية في الديانة المسيحية([2]) .

وواستفاليا هي أحد المقاطعات ببروسيا قديما في غرب ألمانيا، وكانت عاصمة مونستر، وهي اليوم جزءاً من ولاية رينانيا، وشمال واستفاليا الاتحادية، وقد وصفت تلك المعاهدات جميعا بأنها شرعة أوروبا أو دستور أوروبا، والحق أنها هامة من عدة وجوه[3]:

- تعتبر من الوثائق التاريخية المهمة بسبب المسائل المتنوعة التي تناولتها بالمؤتمر سواء كانت هذه داخلية بألمانيا أم دولية خاصة بالدولة المجاورة لها، ولدرجة أصبح هذا المؤتمر من الناحية العملية الأساس الذي تستند عليه الدول في أوربا في علاقاتها القانونية من وقت إبرامه سنة 1648 إلى قيام الثورة الفرنسية 1789[4]، ويرى بعض المؤرخين في هذا المؤتمر بداية لتحقيق اتحاد عظيم يضم الأمم الأوروبية، ومن هؤلاء رئيس دير سان بير الذي أشاد في كتابه مشروع السلام الدائم (1713)، وصفوة القول بدأ مؤتمر واستفاليا تلك العملية التي أدت إلى إنشاء عصبة الأمم بعد أحداث وتقلبات كثيرة خلال عدة قرون[1].

---

[1] - اديب نصور، ميزان الدول، دراسة في العلاقات الدولية علي ضوء التوازن الدولي، منشورات، بنغازي، سنة الطبع 1991، ص109.

[2] - عدنان طه، العلاقات الدولية العاصرة، منشوارت الجامعة المفتوحة، دار النسيج الشركة العالمية للطباعة النشر، لبنان (بيروت 1992)، ص 16.

[3] – اديب نصور، ميزان الدول، دراسة في العلاقات الدولية علي ضوء التوازن الدولي، المرجع السابق، ص109.

[4] – صلاح احمد هويدي، معالم تاريخ اوروبا الحديث ،المرجع السابق، ص265.

[1] – سرجون هامرنت، تاريخ العالم م6 ،المرجع السابق، ص423.

وقد كتب المؤرخ الألماني تريشكي (Treischke) بعد مضي أكثر من قرنين على مؤتمر واستفاليا في القرن السابع عشر مؤتمر سلام واستفاليا قدم مشهدا عجيبا – مشهد مؤتمر سفراء من كل دولة يصفون ويرسمون الحدود للدول المختلفة واحدة تلو الأخرى.

وقد أصبح ينظر إلى مؤتمر واستفاليا على انه أساس القانون الدولي (rutioscripba)، وكل واحد تلفظ بالشكر والحمد لأنه أنشأ أمراً راهناً وحالة متعثرة نوعا ما، وبدأ الناس يشعرون أنهم جزءاً من مجتمع أوروبي منظم، وبدأت كل الدول السيدة كما لو أنها تؤلف عائلة أو أسرة كبيرة[1].

بداية المفاوضات للسلام في أوروبا:

وكان الحكام ورجالهم الدبلوماسيين منذ1625م يجسون النبض ويتحسسون الرأي من أجل السلام، وفي تلك السنة اقترح اوربان الثامن عقد مؤتمر لبحث شروط المصالحة واجتمع المندوبون للتفاوض في كولون ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة ، وفي هامبورج 1641م صاغ ممثلوا فرنسا والسويد والإمبراطورية اتفاقية مبدئية لينعقد مؤتمر مزدوج في واستفاليا في 1642م، ففي مونستر تلتقي فرنسا مع الإمبراطورية لمعالجة مشاكلهما في ظل وساطة البابا والبندقية في استابروك على بعد ثلاثين ميلا تلتقي فرنسا والإمبراطورية مع السويد لإجراء المفاوضات في طل وساطة كريستيان الرابع ملك الدنمارك، وكان هذا الفعل ضروريا بسبب عدم رغبة المندوبين السويديين الاجتماع تحت رئاسة ممثل البابا، ورفض ممثل البابا أن يجلس معهم، وجاء التأخير نتيجة إجراءات، الأمن وقواعد البروتوكول و استحت انتصار نورستسون في بريتفليد الإمبراطور إلى الوعد بأن منذوبيه سيصلون في 11 يوليو 1643م،وتلكأ المندوبون الفرنسيون بينما كانت فرنسا تدبر التحالف مع المقاطعات المتحدة في الأرض الوطنية ضد أسبانيا وافتتح مؤتمر واستفاليا شكلا في 4 ديسمبر 1644 وضم 135 عضوا بما فيهم رجال اللاهوت والفلسفة، وانقضت من ذاك اليوم ستة شهور في تحديد نظام الأسبقية في دخول المندوبين إلى القاعات وجلوسهم، وما كان السفير الفرنسي ونأى بنفسه عنه لأنه أياً منهما لا يعترف للآخر بالأسبقية، واتصل كل منهما بالآخر عن طريق شخص ثالث، كما رفضت أسبانيا الاعتراف بلقب ملك نافار للويس الرابع عشر، وتنازع المندوبون السويديون فيما بينهم وأضاعوا الوقت حتى صدرت إليهم أوامر الملكة الشابة الجريئة كريستينا بأن يصلحوا فيما بينهم، وكان قواد فرنسا يسيرون بخطى واسعة، ومن ثم فإنها أصرت على تمثيل كل

[1] – اديب نصور، ميزان الدول دراسة العلاقات الدولية في ضوء توازن القوى،المرجع السابق،ص 107–108.

من أمراء ألمانيا في المؤتمر، على الرغم من أن معظمهم كان عقد الصلح مع الإمبراطورية منذ أمد طويل، وطلب إلى الزمن أن يتوقف حتى يرسل كل الناخبين والأمراء والمدن الإمبراطورية ممثليهم، ورغبة في أضعاف مركز فرنسا، وعمدت اسبانيا (8 يناير 1646) إلى توقيع صلح منفرد مع المقاطعات المتحدة التي كانت قد وعدت فرنسا بعدم توقيع الصلح منفرد، ولكن الهولنديين لم يكونوا ليضيعوا الفرصة التي لاحت لهم ليكسبو ثمرة صلح ما قاتلوا من أجلة طيلة ثمانين عاما، فكان جواب فرنسا على انه رفضت عقد صلح مع اسبانيا واستمرت الحرب بينهما حتى صلح البرينيز 1659م، وكان يمكن أن ينقضي المؤتمر، دون نتيجة لولا اجتياح تورن لبافاريا، وهجوم السويد على براغ (يوليه 1648) وهزيمة الأسبان في لنز(2 أغسطس)، فإن هذه الأحداث كلها قنعت الإمبراطور بالتوقيع على حين ثورة الفروند في فرنسا (يوليه) أكرهت مزران على تقديم بعض التنازلات التي تطلق يده للحرب في الداخل، وعلى هذا وقعت آخر الأمر معاهدة واستفاليا في مونستر وارزنابروك معاً فى 24 اكتوبر 1648م، واستمر سفك الدماء تسعة أيام آخري حتى وصلت الأنباء إلى جبهات القتال، وتعالت صيحات "الشكر لله " خاشعة ومبتهجة من ألف قرية ومدينة، ولابد من التسليم بأن المفاوضات واجهت من مشكلات التوفيق ماهو أكثر تعقيدا من أية مشكلة واجهها مؤتمر صلح قبل القرن العشرين، وأنها عملت على تسوية المطالب المتصارعة بحكمة قدر ما سامحت الكراهية والغرور والكبرياء والقوة والسلطة بين المجتمعين[1].

وقد انتصرت في هذا المؤتمر الدول التي كانت تهدف وتسعى إلى بسط نفودها داخل أوروبا، وما سعى إليه بعض الدبلوماسيين في المؤتمر بالخروج بمكاسب تجعل علو مكانه دولهم، وهو الأمر الذي سوف نتطرق إليه فيما بعد.

[1] – ديورانت، قصة الحضارة،المرجع السابق ، ص215.

دبلوماسية وستفاليا ومكاسبها السياسية

لقد لعبت الدبلوماسية دورا مهما في كسب بعض الدول مكاسب سياسية واقتصادية من أجل التفوق داخل المؤتمر، وداخل أوروبا، وظهر نفوذ فرنسا ولفت الأنظار أثناء المفاوضات المؤدية إلى صلح واستفاليا، فقد كتب أحد المفاوضين الملحقين بالمبعوثين المفوضين، سرفيان و دافو (servien et davuuy) إلى مؤتمر السلام سنة 1647م في رسالة سرية يقول:" اعترف لك أن المسيو دافوتولي أجمل منصب في العالم، فالإمبراطور هنا، وكل أمراء ألمانيا خاضعون إليهم ويطلبون من فرنسا العدالة كما تطلب من سلطان عليهم البروتستانت يعترفون أنهم كانوا هلكوا لولا نجدتها، والكاثوليك إن الدين كان ضاع في ألمانيا لو أنها أرادت أن تواصل الحرب لستة أشهر أخرى، لأن الحزب الكاثوليكي كان بدون نصير بعد دمار دوق بافاريا"[1].

ويكمن جوهر قوة السياسة الفرنسية في الشخصية الفذة للكاردينال (ارمان جان رشيليوا...) أمير الكنيسة وأول وزير فرنسي من عام 1624وحتي1642م.

ويعتبر المؤرخون تسوية مؤتمر واستفاليا انجاز الكاردينال ريشيليوا إلى حد كبير، صحيح أن الكاردينال توفي سنة 1642م قبل التسوية ببضع سنين، لكن الحرب كانت قد اقتربت مبدئيا من نهايتها[2].

تولي ريشليوا Richelieu منصب وزير الملك، وتولي ريشليوا زمام الأمور 1634م حدث تغيير تام وبدات فرنسا صفحة جديدة من صفحات تاريخها، فقد عمل ريشليوا ذلك النبيل الفرنسي على تحقيق هدفين: [3]

1- المصلحة الوطنية الفرنسية فوق اية مرامي دينية، واتحاد عناصر الأمة وزيادة نفود الملك داخل البلاد، وتوطيد سلطانه بالقضاء على كل منافسيه من الأشراف أو الهيجونوت أو المجالس الوطنية على السواء بوضع نظرية متكاملة في الحكم والادارة، ووضع خطة عامة للسياسية الفرنسية لا تقوم على العقوبة والارتجال.

---

[1] – أديب نصور ، ميزان الدول دراسة العلاقات الدولية في ضوء توازن القوى ، المرجع السابق ، ص180، 109.

[2] – هنري كيسنجر، الدبلوماسية من القرن السابع عشر حتى بداية الحرب الباردة، ترجمة ماللك فاضل البديرني، منشورات الاهلية، الاردن، الطبعة الاولى، 1995م، ص 73.

[3] – زينب عصمت،تاريخ اوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشرحتى نهاية القرن الثامن عشر ، المرجع السابق ص 124.

2- العمل على تفوق فرنسا في أوروبا، وذلك بقهر الهابسبورغ فى ألمانيا وأسبانيا وجعل الملكية الفرنسية مطلقة في الداخل، وذات سيادة مهيمنة في الخارج،ولذا فإنه اعتقد ان مركزية السلطة في الأساس لتحقيق وحدة فرنسا وعظمتها.

لم تكن مخاوف ريشيلوا واهية فأن لمحنا خريطة أوروبا نرى فرنسا وقد أحاطتها ارض الهابسبورغ من كل حدب وصوب: اسبانيا في الجنوب ومدن شمالي ايطاليا التي تحكم اسبانيا اغلبها إلى الجنوب الشرقي، في الشرق من فرنسا تقع فرانش – كومتى والمنطقة حول الليون والسافوى في هذا الوقت وهي خاضعة أيضا لهيمنة اسبانيا، وفي الشمال تقع هولندا الأسبانية، وخضعت الأطراف القليلة التي لا يحكمها الهابسبورج الاسبانيين إلى نسب العائلة النمساوية، ومنحت دوقية لورين ولائها إلى إمبراطور رومانيا المقدسة النمساوية، كما فعلت كثير من المناطق الهامة استراتيجيا على امتداد الراين الذي يعرف بالأساس فلو قدر لالمانيا الشمالية أن تخضع لحكم الهابسبورغ لأمست فرنسا هزيمة بشكل يخشي عليه إزاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، أسبغ ريشليوا نزرا من ارتياحه في حقبة تشاطر النمسا، واسبانيا لإيمان فرنسا الكاثوليكي، وعقد العزم بكل تصميم بأن يحول دون ظفر حركة الإصلاح المقابل، وسعيا من اجل مايسمي اليوم بمصلحة الأمن القومي "التي وضعت" أول وهلة مصلحة الدولة"[1].

ونتيجة لسياسته صارت فرنسا ذات وحدة وطنية، وأصبح ملكها ذا مركز متفوق في أوروبا، وكذلك لم يهمل قضايا الاقتصاد، فقد رأى إن قوة فرنسا الاقتصادية مكمل لقوتها السياسية والعسكرية، فكان صاحب نظرة اقتصادية واسعة جعلته يهتم بمظاهر الحياة الاقتصادية ويدفعها إلى طريق النمو والتطور، بل أنه ضمن إطار الحرية الاقتصادية مما جعله احد من رواد المذهب المركنتلي في أوروبا، فشجع الاشتغال بالعمل التجاري كما طور أسطول فرنسا التجاري.

وكان من حسن حظ فرنسا أن خلف ريشليوا Richella بعد موته مزران Mazarin الذي أوصي بأن يخلفه في منصبه، وكان مساعد له في آخر أيامه، والذي تدرب على شؤون الحكم في رعاية سلفه ريشليوا؛ وتبني سياسة وخطط مسترشدا بالمبادئ التي وضعها لتأييد بسلطة الملكية المطلقة وإحراز التميز الدولي في الخارج[2].

---

[1] – هنري كسنجر، الدبلوماسية من القرن السابع عشر حتى بداية الحرب الباردة ،المرجع السابق، ص 75-84.

[2] – زينب عصمت ،تاريخ اوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشرحتى نهاية القرن الثامن عشر، المرجع السابق ، ص 218.

وقد كتب ريشليوا في وصيته السياسية "من له القوة له الحق، ومن كان ضعيفا عليه ان يجاهد بشدة كما لا يقضى أنه من غالبية العالم"[1]. ويمكن ان نشير الى افضل الدبلوماسين وهم :

1-عهد الوزير الأعظم مزران (1643-1661) :

كان لويس الثالث عشر قد أوصى بأ، تكون آن زوجته النمساوية وصية على ابنها لويس الرابع عشر، وأشرك معها مجلساً للوصاية، ولكن البرلمان قرر أن تكون الملكة الوالدة وصية بكامل السلطات، أي بدون مجلس يشاركها في ذلك، وكانت الملكة آن عدوة للكاردينال ريشليوا، ومع ذلك فإنها عينت الكاردينال مزران رئيسا لمجلس الدولة والحكومة.

وكان مزران إيطالي الجنسية وجعل على الوصية الفرنسية سنة 1639م بعد أن كان من رجال البابا، وكان يختلف عن ريشليوا في كل شيء ، فبينما كان ريشليو جندياً ويسير وراءه حرس كبير ، وله حاشية ملكية ، كان مزران بسيطاً متواضعاً يحادث الجميع ، ويجالسهم ، ولم يكن له من الحياة العسكرية أي شيء، ولكنه كان عبقرياً في دبلوماسيته وبدرجة تفوق رشليوا ، أما من ناحية الادارة فكان لا يصل الى مستوى ريشليوا [2].

ولما قام الأشراف بالحرب الأهلية المعروفة بحرب"الفرند*"Frond (1648-11652) رغبة منهم في استعادة امتيازاتهم الأولى، تمكن مزران بمساعدة تورين من التغلب على الأشراف، ودخل لويس الرابع عشر باريس عام 1653م [3].

وكانت معاهدة البرانس آخر عمل قام به مزران، وقد كانت هي سياسته في حرب الثلاثين عام من أعظم العوامل التي حفظت أسمه في التاريخ وجعلت لفرنسا المكانة الأولي بين دول أوروبا ولم يطل أجله بعد ذلك، إذ مات عام 1661م تاركا وراءه ثروة طائلة أوصى بمعظمها لتأسيس

---

1 – هنري كيسنجر ،الدبلوماسية من القرن السابع عشر حتى بداية الحرب الباردة، المرجع السابق ، ص 84

2 – صلاح أحمد هريدي ،معالم تاريخ اوروبا الحديث من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية، المرجع السابق ، ص284.

* –الفرند ، معناها المقلاع وقد سميت هذه الحروب بهذا الاسم ازدراء له لان المقلاع كان السلاح تستعمله الاولاد في شوراع باريس، عمر الاسكندري، حسن سليم، تاريخ اوروبا الحديث واثار حضارتها، المرجع السابق ص 185.

3 – زينب عصمت،تاريخ اوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص218.

كليلة لتعليم أبناء المقاطعات التي ضمها إلى الأملاك الفرنسية هو وريشليو، ليغرس في قلوب أهلها حب فرنسا فتتحد بذلك كلمة البلاد [1].

2– فردريك وليم الناخب الكبير(Frederik William 1640-1688)

دولة بروسيا من أعظم الدول التي كان لها شان هام في تاريخ أوروبا مند القرن الثامن وهي الآن الاساس الأعظم الذي ترتكز عليه دعائم الدولة الألمانية الحالية وتقوي به شوكتها، وهي مع ذلك احدث دول أوروبا سنا ومنشؤها اصغر ما تنشأ منه عظيمة، وذلك انه كان يوجد في القرن الثاني عشر ضمن الولايات الألمانية التي توفد مندوبا منها بالاشتراك في اختيار إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة إمارة صغيرة في شمالي ألمانيا الوسطي تعرف بولاية (برندنبرج) وكان بجوارها ولاية صغيرة على شواطئ بحر البلطيق من أرض بولندة تسمي (بروسيا) شرقي نهر الفستولا غزاها الفرسان التيتون في القرن الثالث عشر واستوطنوها إلى أن مسحوها تدريجيا بالملحمة الجرمانية، وفي أوائل القرن السابع عشر انقرض نسل لادواق (الأمراء) الذين كانوا يحكمونها من أسرة هوهنزلون الشهيرة أصحاب برندنبرج حينئذ، والأسرة المالكة في ألمانيا الآن، فانضمت الولايتان احدهما إلى الأخرى تحت إمرة نائب برندنبرج عام 1611 فكان ذلك اساساً لمملكة بروسيا الحديثة، ولقد لقب نائب برندنبرج ودق برويسا وسمي النائب الاعظم لعظم اعماله في تأسيس مجد الدولة البروسيا ولما كان له من السطوة والجاه بين نائبي الولايات الالمانية، وقد قضي حكمه الطويل في توطيد دعائم ملكه، وزيادة دعائم ينابيع الثروة ببلاده، وزاد كثير في أملاكه بأن ضم إلها في مؤتمر واستفاليا" ولايتي مجد برج وبوميرانية الشرقية كوفئ بهما على مابدله في سبيل الأخد بناصر البروسنت في حرب الثلاثين عاماً، وقد كان يعول في توطيد الملك علي حصر السلطة في يده فاهتم بالشؤون الحربية، وانشأ جيشا فانما كان هو النواة الاولي لنظام العسكرية البروسية[2].

ولما كانت براند برج قد تعرضت اكثر من غيرها لويلات حرب الثلاثين انخفض عدد سكانها من 14.000 نسمة عام 1620 الي 6000 نسمة عام 1640، فقرر فرديك وليم انتهاج سياسة تهدف إلى اخراج القوات المتحاربة من اراضي الامارة والعمل علي انشاء دولة مركزية وجيش دائماً وقوي بدين بالولاء علي تحقيق وحدة ممتلكاته المتناثرة التي اضاف اليها بعض

---

[1] – عمر الاسكندري، سليم حسن ، تاريخ اوروبا الحديث وآثار حضارتها ، المرجع السابق ، ص188.

[2] – نفس المرجع ، ص215.

الاراضى منتهزاً ضعف الامبراطورية فحصل على بوميرانيا الشرقية بموجب موتمر وستفاليا 1648 التي كانت لها مكانة مهمة علي بحر البلطيق، كما ان المؤتمر جرد الامبراطور نوعاً ما من السلطة الفعلية علي الولايات الالمانية ومنها بروسيا ولاسيما الناخب الكبير، حاول استغلال كل الازمات الدولية قبل الحرب علي السويد وبولندا لصالح بلاده وفرض سيادته الكاملة على بروسيا والتحرر من التبعية لملك بولند واضعاف سلطة الامبراطورية بكل الوسائل كما عمد علي تنظيم البريد والضرائب الادارة و ألغى الدايت البرلمان الذي كان يشارك سابقا بقية الحكام في ادارة البلاد

ولما ادرك النبلاء البرجوازيين أبعاد سياسية فردريك ووليم فعارضوها بشدة وتاروا عليه الاانه وقف بوجه ثوراتهم وانهي سلطة مجالس المقاطعات.

كما عمد فردريك الي تشجيع الزراعة واستفلاح الاراضي، وتطوير موارد البلاد الزراعية مع حصوله علي المساعدات المالية من اسبانيا وفرنسا وهولند ا ثم انشأ اسطولا قويا في بحر البلطيق بعد ان انشأ جيشا بلغ تعداده عند وفاته عام 1688.(4000) جندي[1].

ويمكن القول ان الدبلوماسية السياسية لعبت دورا مهما في سير أحداث ظهور بروسيا علي مسرح الاحداث السياسية، وان تكون دولة مستقلة والهدف اساسي هو اضعاف اسرة لما الهابسبورغ المعتمدة علي مبدأ فرق تسد.

قواعد التسوية السياسية والدينية في مؤتمر وستفاليا (1648)

أ- فيما يتعلق بالأوضاع في ألمانيا

فقد نال الأمراء الألمان في هذا المؤتمر تأكيدات بحقوقهم في السيادة فصارلهم الحق في عقد المحالفات فيما بينهم ومع الدولة الاجنبية[2].

فقد تولى الامراء الاعضاء في الامبراطوية الجرمانية في مؤتمر وستفاليا شؤونهم الخارجية وأصبحو سلاطين (Soaverains) في دولهم واحتفظ الامبراطور بسلطاته على الاقاليم التي ورتها من الفرع النمساوي للبيت الهاسبورغ[1].

---

1 – صلاح حسن العيكلي ، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة ، المرجع السابق ، ص 225.

2 – جلال يحي، جاد طه ، معالم التاريخ الاوروبي ، المرجع السابق ، ص245–246.

فأصبحت الإمارات من الناحية القانونية في حكم المستقلة؛ الأمر الذي ترتب عليه أن صار تفكك أوضاع ألمانيا كاملا.

وقد نال ناخب براندنبرج (Prenjenbrg) تعويضا عن بومرانيا (Pomerania) الغربية التي أخذتها السويد، فأعطي أسقفيات برج هلبرشيا Helborstadl وميندون Mnden وكامين Camin. ثم تدعمت حقوقه الوراثية بومبرانيا الشرقية Pomerania وأعيدت السيطرة على دوقيات كليف ودغنر برج Riveenoberg وبذلك أصبح ناخب براندنبرج أعظم الأمراء الألمان قاطبة ويلي الإمبراطور فقط في الأهمية، كما أن التوسع الجديد أعطى براندنبرج الفرصة لكي تنمو حتى تصل إلى مرتبة المملكة (المملكة روسيا) ثم تستطع منافسة النمسا والتغلب عليه ثم يمكنها في النهاية أحياء ذلك الاتحاد الألماني الذي عمل مؤتمر واستفاليا للقضاء عليه وبعثه من جديد في ألمانيا[2].

وقد احتفظ مكسمليان دوق بافاريا باقاليم البلاتينات العليا ويلقب الناخب في الإمبراطورية، وأما البلاتينية السفلية فقط أعيدت إلى شارل لويس ابن فردريك الخامس، وأعطي أيضا الناخب في الإمبراطورية، وبذلك اتسعت مساحتها مما جعل له زعامة على الولايات الجنوبية[3].

ب – مكاسب فرنسا:

لقد انتصرت سياسة فرنسا في منستز وواستابروك واتضحت رغبة فرنسا في بسط نفوذها على القارة الأوربية، فاتخذت تدابير في مؤتمر واستفاليا كان القصد منها إقامة حاجز فعلي أمام تفوق زائد لبيت الهابسبورغ وبذلك يضمن توازن اوروبا وسلامتها، وبمقتضي معاهدة منسنتز احتفظ ملك فرنسا باسقفيات متز Matz، وتول Toal، وفردان Verdan، وتسلم فضلا عن مدينة برياج على ضفة الريان اليمني، كذلك الالزاس العليا والسفلي على شرط ان تحترم حريات اساقفه ستراسبورج وبازل الولايات الأخرى التابعة للإمبراطورية بصفة مباشرة، وان يراعي مقتضيات تلك التبعية، وقد وافق ملك فرنسا على هذا القيد، على شرط ألا يؤثر ذلك في حقوق السيادة التي له، وهذا التحفظ هو الذي حمل في طياته بدور المتاعب المستقبلية بين ألمانيا وفرنسا حول مسألة الالزاس واللورين[4].

---

1 – سرجون هامرنت ،تاريخ العالم،، المرجع السابق ص405–406.

2 – جلال يحيي وجاد طه ، معالم التاريخ الاوروبي ، المرجع السابق ، ص 296.

3 – البطريق، نوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ،المرجع السابق ، ص 174.

4 – اديب نصور ، ميزان الدول دراسة العلاقات الدولية على ضوء توازن القوى، المرجع السابق ، ص104.

ج – **مكاسب السويسره:**

تم الأعتراف رسميا باستقلال السويسرة، وكذلك الإعتراف ضمنا باستقلال الأقاليم المتحدة التي كانت تشكل رسميا الدائر البرجندية فإنها عوملت على أساس تبعيتها لاسبانيا التي انتهت معها إلى اتفاق منفصل[1].

د – مكاسب السويد:

تستولي السويد علي النصف الغربي لبومبرانيا Pomebruniu، وبريمن Premen، وفردن Verden[2]، وبضم هذه الأملاك إلى السويد أصبحت تتحكم في مصبات الأنهار للإمبراطورية التي أصبحت تحت رحمة دولة غير ألمانية، وسيطر السويديون على انهار الاودو والألب والقيز[3].

وبذلك احرزت السيطرة التي كان يريدها جوستاف ودولف على البحر البلطيق[4] وكذلك

---

[1] – جلال يحيي وجاد طه ، المرجع ،معالم التاريخ الاوروبي ، المرجع السابق ، ص246.

[2] – زينب عصمت ، تاريخ اوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشرحتى نهاية القرن الثامن عشر ، المرجع السابق ، ص316.

[3] – جلال يحيي وجاد طه ،معالم التاريخ الاوروبي، المرجع السابق، ص246.

[4] – البطريق، نوار ، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 179.

أعطتها الحق في الجلوس في مجلس الدايت الألماني، مما يسمح له بالتدخل قانونيا في شؤون ألمانيا[2].

قواعد التسوية الدينية

أما المسألة الدينية فكانت تسويتها في اوزنابروك بطريقة خلفت اثار دائمة في ألمانيا، حيث صار التوزيع الجغرافي للمذاهب الدينية، المتصارعة مستمراً في صورة تدعو إلى شئ من الحيرة، بهذا التسوية، أصبحت شروط معاهدة باساو 1552م، وصلح اوجزبرج 1555م ضمن القوانين السياسية في الإمبراطورية واتسع مداه لتشمل الكلفيين ايضا ولكن لم يكن ذلك يعني قبول مبادئ التسامح الديني لأن المؤتمر حرم الاعتراف بالمذاهب الدينية الأخرى، وتمت تسوية أحوال الأملاك التابع للكنيسة على الوضع الذي كانت عليه أول يناير عام 1624م غير أنه تقرر أنه غير المتملك على أحد هذه الأملاك مذهبه الديني فأن تملكه يبطل بحكم الواقع، وادى هذا الشرط إلى وقف انتشار البروتستنتية في المراكز العليا، وفيما عدا ذلك تأيد حق الحاكم في تقرير المذاهب الدينية في ارضه، غير أن اللوثريين والكلفيين اتفقوا على أنه لا يجوز للحاكم الذي يغير مذهبه الدينى ان يتدخل في شؤون المذهب الذي كان قائم في اراضيه عند إقرار المؤتمر ماعدا ما يختص برجال بلاطه ، كما تقرر ان تستمر الأحوال التي كانت سائدة في الأراضي الكاثوليكية على حالها عام 1624م، وهذا السبب في وجود بعض كنائس بروتستانتية في بعض جهات مثل ارفورت حتى العصر الحاضر، وفي مدينة هيلورشليم حيث كانت كنيسة واحدة تم الاتفاق على ان يستخدم البروتستانتية والكاثوليك هذه الكنيسة، وسرى هذا الاتفاق مدة طويلة في جهات اخرى من ألمانيا ووافقت جميع الولايات الألمانية على ذلك الحل الوسط ولكن الإمبراطور فرديناند الثالث لم يقبل بالنسبة لأملاكه لان تحريم البروتستانتية تحريما باتا مستمرا جاريا في أراضي ال هابسبروج الا في بعض جهات من سيليزيا ومدينة برسلاد وبين نبلاء النمسا السفلي[3].

وهكذا لم يكن الصلح الديني الا حلا وسطا، غير مشمول برضي عام، وإذا دام ذلك الحل فإنما يعزى دوامه إلى رد الفعل الطبيعي ضد روح التعصب التي جلبت على العالم شقاء لا يوصف، غير ان البابا اعتبر هذا الصلح لطمة خطيرة، وأعلن استنكاره له في المرسوم (الحماسة في سبيل)الصادر في السادس والعشرين من نوفمبر عام 1648م حيث قال البابا ان "الحماسة في

---

[2] – زينب عصمت ،تاريخ اوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشرحتى نهاية القرن الثامن عشر، المرجع السابق ، ص 316.
[3] – سرجون هامرنت، تاريخ العالم ن المرجع السابق، ص 406-407

سبيل بيت الله) ملأت عليه مشاعره، وكانت عبارته في هذا الصدد شديدة، ولكن لم يعره أحدا التفافا[1].

أن الاعتراف بمعاهدة بساو وصلح اوبرندبرج، وصارت الولايات الكاثولوكية و البروتستانتية تقف على قدم المساواة في جميع المسائل التي تتعلق بالإمبراطورية وصار أول يناير الحد الزمني الذي تقاس به المسائل الملكية الولايات الكنيسة، وممارسة شؤون الديانة أو يجب ان تبقى الأمور دائما على ما كانت عليه في التاريخ، ومعنى ذلك انه تقرر الاعتراف بان التحفظات الكنسية جديرة بالاحترام في المستقبل ولم تمنح المعاهدات اية حقوق للبروتستانت الخاضعين في النمسا وبوهيميا، باستثناء حقوقهم الدينية التي تمتعت بها عام 1618م احتفظ اصحاب السيادة الاقليمية بحق الاصلاح في المستقبل في أقاليمهم وهو حق اجازته مذاهب أولئك الرعايا الدين لم يكفل لهم عام 1628م حرية العبادة واحتفظ الرعايا في تلك الحالات بحق الهجرة واعادة البلاط الإمبراطوري وتوزع اعضاؤه بالتساوي بين البروتستينات والكاثوليك[2]، وان الحصيلة الكبرى لمؤتمر وستفاليا أنه أنهى اخر ادعاءات الوحدة الاوروبية العضوية، وكرس مبدأ توازن القوى، واستهل عصر الدول الوطنية "القومية" المستقبلية ومنافستها السياسية[3].

وهكذا فان النظام الدولي الذي تأسس علي قواعد موتمر، وستفاليا لم يقم علي اساس العودة الي الدولة العالمية بل جعل "العلاقات الدولية محصورة في تلك العلاقات التي تنشأ بين الدول القومية ذات السيادة بحيث لاتشمل أي نوع من الهيئات أو الجماعات التي تتوفر لها مقومات الدول وخصائصها مهما كان دورها في المجتمع الدولي[4].

ان مؤتمر وستفاليا كان نهاية للعصر الذي أطلق عليه في التاريخ عصر الاصلاح الديني، فقد اصبح الوضع الديني واضحا، فقد قضي على امل المصلحين الاوائل في تحطيم الكاثوليكية الرومانية التي تتبع روما، وكذلك فشلت حركة الثورة الاصلاحية المضادة في الولاء المطلق للبابا وكنيسة روما، ومن ثم كان لابد من ابقاء المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي وتعايشهما جنبا إلى جنب في اوروبا، وساد في اوروبا مبدأ التسامح الديني الذي فرضته الدول التقدمية على رعاياها[5].

---

1 -سرجون هامرنت، تاريخ العالم، المرجع السابق ، ص406– 407.

2 -صلاح احمد هريدي، معالم تاريخ اوروبا الحديث، المرجع السابق ، ص267.

3 – اديب نصور، المرجع السابق، ميزان الدول دراسة العلاقات الدولية على ضوء توزن القوى ،المرجع السابق،ص105– 106– 107.

4 – احمد عباس عبد البديع، العلاقات الدولية أصولها وقضايا معاصرة،المرجع السابق، ص 25.

5 – البطريق، نوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، المرجع السابق، ص180.

ويمكن القول ان فكرة التسامح الديني اصبحت تتميز هذه الحقبة من التاريخ الأوروبي.

تأثير موتمر وستفاليا علي القومية الالمانية:

اما عن الناحية القومية الالمانية فكان اخطر نتائج موتمر وستفاليا هو الاستقلال الفعلي الذي حصلت عليه الولايات الامبراطورية بسبب الاعتراف بحقها في إيفاد ممثليها الي الخارج والدخول في محالفات مع الدول الاجنية، اذغدت الامبراطورية بذلك اتحاد كونفدر اليا مفككا بين ولايات ذات سيادة لايتمتع فيها الامبراطور خليفة القياصرة الاقدمين بشي سوى الصدارة الواهية، على ان الامبراطور ظل محتفظا بلقب اغسطس وكبريائه، وهو اللقب الذي صار في صيغته الالمانية "المتزايد في نمو الامبراطورية "، كما ظلت قراراته بالحرمان تثير الرعب في نفوس الضعفاء من الامراء، ولم يزل كذلك منبع الشرف بدليل ان الامير الناخب في براندنبرج كان عليه ان يتقدم إلى الامبراطورليلتمس منه لقب ملك بروسيا.

وهكذا بقيت سيادة الامبراطور قائمة علي الجميع من الناحية النظرية،حتى ان بعض المفكرين السياسين من امثال ليبز قالوا لأنه يستطيع ان يكون مركزا لوحدة سياسية جديدة، غير انه عندما نزل فرنسيس الثاني سنة 1608م نهائيا عن اللقب القديم، أي إمبراطور الرومان واختار ان يعرف بعد ذلك باسم فرنسيس الأول امبراطور النمسا، فانه قام بذلك اعترافا منه بحقائق اصبحت علي درجة كافية من الوضوح حتى قبل إذلال نابليون لألمانيا، والواقع ان الشعور الدافع الي الوحدة الالمانية لم يات في القرن التاسع عشر من الامبراطورية القديمة، رغم بقاء ذكراها بل من احدي

الولايات الجديدة التى قامت علي انقاضها، ولذا يمكن ان يقال ان العملية التي في فرساى عام 1871م بالمنادة بملك بروسيا إمبراطور ألمانيا بدأت في اوزنابروك عام 1648م[1].

واما في ألمانيا فقد كان تأثير هده الحرب سيئا، حيث اندثرت فيها معالم الصناعة والتجارة والفنون، ولحق الامبراطور الضعف، بسبب مانالە الامراء الألمان من امتيازات واسعة، وكانت من الاسباب التي اخرت تكوين الوحدة الالمانية[2].

---

[1] – سرجون اهامرنت ،تاريخ العالم، المرجع السابق ، ص 407، 408.

[2] – عبدالرحيم عبدالرحمن ، التاريخ الاوروبي المعاصر ، المرجع السابق ، ص 110.

ويرى الباحث مما سبق ان السلام الذي أقامه مؤتمر وستفاليا قام على مبدأ توازن القوى ولم يكن سلاما رومانيا فرضته الامبراطورية الرومانية علي الشعوب التابعة لها، ولم يكن سلاما مسيحيا فرضته الكنسية على رعاياها من الملوك والامراء بل سلاما خططت له فرنسا باقامة تحالف للقضاء على الامبراطورية الرومانية مع الاحتفاظ دائما بالمساواة في القوة بين الدول العظمى بحيث يمكن منع أي دولة من ان تصل الي درجة من القوة تستطيع بموجبها ان تهدد استقلال دولة أو دول اخري وهذا بالتالي يودي الي ضمان الاستقرار في العلاقات السياسية الدولية واشاعة السلام بين الدول. وقد اصبح مفهوم التوازن الدولي بهذا المعنى يمثل الخطة الاساسية التي ظلت تسير بمقتضاها العلاقات السياسية الدولية حتى الحرب العالمية الاولى عندما حل محلها مفهوم الامن الجماعي كاسس للمحافظة على امن العالم واستقراره وسلامته.([3])

إن مؤتمر وستفاليا يعتبر الاساس للقانون الدولي والعلاقات السياسية فقدجرى الاعتراف بسيادة الدول والمساواة بينهما وجاء بالمبادئ الاساسية للعلاقات الدولية من اجل السلام الدائم فى اوروبا.

وخلاصة هذا الفصل تكمن في ظهور فرنسا كدولة قوية علي الساحة الاوروبية، تميزت هذه الفترة اكثر بوصول لويس الرابع عشر ملك على فرنسا، وبذلك ظهرت الملكية المطلقة والذي اكده لويس الرابع عشر من خلال قوله الشهير "انا الدولة والدولة انا"

[3] - البطريق، نوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، المرجع السابق، ص205.

الفصل الرابع

النتائج البعيدة لمؤتمر واستفاليا (1648م)

المبحث الاول: التفوق الفرنسي والملكية المطلقة (عصر لويس الرابع عشر 1643 –1715م)

المبحث الثاني: ظهور روسيا وبروسيا على مسرح الاحداث الاوروبية

المبحث الأول

عصر التفوق الفرنسي والملكية المطلقة

(عصرلويس الرابع عشر) [1643 – 1715 م]

خرجت فرنسا من الحروب الدينية مرهقة ماديا وسياسيا، فقد تداعت سلطة الملوك المطلقة التي تمتع بها ملوك من طراز فرنسوا الأول، وانحلت الروابط التي كانت تربط البلاد، حتى لقد استقل كثير من الأمراء في مناطقهم فأصبحوا يجمعون الجيوش ويفرضون الضرائب لحسابهم الخاص وانحلت موارد البلاد الصناعية والزراعية والتجارية وكان على فرنسا أن تبذل جهود مضيئة لإحياء ما اندثر وإصلاح ما تسرب وأول من قاد هذه المرحلة في تفوق فرنسا.

هنري الرابع (1589 – 1610م):

هو أول ملك من ملوك أسرة اليوربون اسبغث عليه الحوادث توب التجارب، وخلعت منه سياسيا وإداريا لإيجارى[1]، فشرع في العمل على ذلك بمعونة الوزير العظيم (دوق صلى)[2]، بدأ عملة بتعطيل مجلس الأمة الذي كان مسرح الخلاف والشقاق وتحدي البرلمانات وإجراءاتها في نظمه وأحكامها، وخقق الآمال التي علقت على الملكية، بتنظيم المالية والشئون الاقتصادية، انشأ جيش استردت به فرنسا مكانتها بين الدول وارتفعت فرنسا بفضل سياسة فوق دول وملوك أوروبا، ورأى أن خير طريق لحسم النزاع القائم في فرنسا إرتداده عن المذهب البروتيتستي وتحوله إلى المذهب الكاتوليكية ففعل ذلك في سنة 1593م، وبذلك اكتسب حب الشعب الفرنسي وأعتلى على عرش فرنسا 1594 م. كما أصدر مرسوم نانت (nants) لحسم المشاكل الدينية في فرنسا سنة 1598م وصار البروتسنت يقتضي هذا المرسوم.

1- حرية العبادة في أي بلد في باريس وأقاليمها.

---

[1] – زينب عصمت، تاريخ اوروبا الحديث من القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص 218.

[2] – عمر الاسكندري، وسليم حسن ، تاريخ اوروبا الحديث وآثار حضارتها ، المرجع السابق ، ص 176.

2- تساوى البروتستانت والكاثوليك أمام القانون وتكوين محاكم خاصة لمقاضاة الهيجونوت مكونة من الكاثوليك والهيجونت.

3- منح الهيجونوت بعض البلدان تكون لهم وهي ((لاروشل [larochellire] وسومير [Saumur])) و((مونبلييه [montpellire]))

وذلك ضمانا لحريتهم وتأمينا لهم وصار لهم جيش وحصون يلدون بها متى أرادوا وكان ذلك يتعارض مع أراء الوزراء العظام كما كان سبب في تجدد الحرب الدينية في أيام رشيليو Richelieu [1].

وكان أهم ما نصبو إليه نفسه في سياسته الخارجية القضاء على النفوذ النمسوي الأسباني في أوروبا و كان يرى أن لا ينال أمنيته لا بتحالف البروتسنت والأراضي المنخفضة وايطاليا وانجلترا وفرنسا على الهايسبورج للقضاء على سيادتهم، حتى إذا ما تم ذلك، أمكنه تسود فرنسا في أوروبا وكادت المقادير تساعده على نيل أمنيته، لولاه أن أغتاله فاتك في احد شوارع باريس (مايو سنة 1610م) فلم بتنفيد عزمه وتركه لخلفه من بعده. [2]

ويمكن القول أن هذه السياسة هي التي تمت تطبعها وكانت من أهم الأسباب في تفوق فرنسا سياسيا واقتصاديا بعد موت هنري الرابع سنة 1610 أصبح ابنه لويس الثالث عشر (1610 – 1643) صاحب العرش، لما كان قاصر تولى الوصاية عليه أمه (ماري مديتشي) ولم تكن أهلا لمتابعة سياسة قائمة على الاستغلال في العمل، وكانت أراوها السياسة تخالف آراء زوجها تمام المخالفة، وعملت على ربط الأسرة المالكة في فرنسا بالأسرة المالكة في اسبانيا رغم ما كان بين الأسرتين من عداء ورغم معارضة الرأي العام الفرنسي، وفي عام 1612م تم الاتفاق على أن يتزوج لويس الثالث عشر (بآن النمساوية)، بنت فليب الثاني ملك أسبانيا وفي سنة 1634م تولى لويس زمام الأمور وثم زواجه (بآن) ولكن الأمور لم تتحسن بتقليده أمور الحكم وبقي الإشراف متنازعين على الاستحواذ على السلطة فيما بينهم فتشجع الهجونوث وحاولو في 1620م تكوين جمهورية خاصة بهم في جنوب فرنسا ولكن لويس الثالث عشر أعد جيش للقضاء على حركة الهيجونوت وانتصر عليهم وعقد معهم صلح (امونلييه [montpellier]) عام 1622م حيث حرم

---

1 – زينب عصمت، تاريخ اوروبا الحديث من القرن السادس عشر حتى نهايةالقرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص 218.

2 – عمر الاسكندري، وسليم حسن ، تاريخ اوروبا الحديث وآثار حضارتها، المرجع السابق، ص 178.

على الهيجونوت الاجتماعات السياسية ولم يتعرض لحقوقهم الدينية وخص حصونهم على مدينتي ((لاروثل [larochelle] ومنتوبان [montaubun])) وفي 1624 تولى ريشليو Richelieu منصب وزير الملك وبتولي ريتشيلو زمام الامور 1634 م، حدث تغير تام وبدأت فرنسا صفحة جديدة من صفحات تاريخها فقد عمل ريتشليو ذلك النبيل الفرنسي[1] في تنفيذ الخطة التي وضعها لتحقيق التفوق الفرنسي في أوروبا ورفع شأن التاج الفرنسي في الداخل والخارج وكذلك اقحم فرنسا في حرب الثلاثين سنة وجنى منها لفرنسا مكاسب سجلها موتمر وستفاليا واستقلالها عام 1648[2]،

وبعد موت ريشليو بعدة شهور مات ملكه لويس الثالث عشر عام 1643 تاركا العرش لأبنه الصغير لويس الرابع عشر وكان طفلا في الخامسة من عمره وتولت الوصاية عليه أمه الملكة آن النمساوية، في الوقت نفسه كانت رئاسة الوزراء من نصيب الكردينال ميزران mezarin الذي تدرب على شؤون الحكم في رعاية سلفه ريشليوا وتبنى سياسته وخطى خطوته بخطوة، واكد على المبادئ إلى وضعها لتأييد سلطة الملكية المطلقة واحراز التفوق الدولي في الخارج، والواقع أن مؤتمر وستفاليا أكبر نصر حرزه ميزران ولكنه على أي حال لم يكسبه التائيد المنشود من الرأي العام الفرنسي بل على العكس ما انتهت فرنسا من الحروب التي اشتركت فيها أثناء حرب الثلاثين عام حتى هبت العناصر المعارضة للحكومة الساخطة على سياسة ميزران وبذل جهدها لمقاومة نظام الحكم، ومن ثم تارت قلاقل داخلية عرفت (بحرب الفرندو1648م–1651م) *،وقد كانت اسبابها ثلاثة :

1- كراهية البلاد لمزران
2- طموح الإشراف على استرجاع نفوذهم
3- استياء بعض الطبقات من النظام الاستبدادي الذي وضع أساسه ريشيلوا.

وقد بدأت تلك الحروب بعد مؤتمر وستفاليا مباشرة (1648م – 1653م) وانتهت بانتصار مزران وتدعيم سلطات الملكية، وفي غضون تلك الحروب الداخلية كانت فرنسا لإتزال في حرب مع اسبانيا، وإضطرت فرنسا تحت وطأت انشغالها داخليا، أن تقف موقف الدفاع أمام الأسبان ولذلك استطاعت اسبانيا أن ترد بعض ما فقدته في الحرب ولكن عندما انتهت حرب الفرندو دفع ميزران

---

[1] – **زينب عصمت، تاريخ اوروبا الحديث من القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر، ، المرجع السابق ص 125.**

[2] – **البطريق،النوار ، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 201**

بالقوات الفرنسية إلى ميدان الحرب في الأراضي المنخفضية وانهزمت اسبانيا هزائم منكرة اضطرت إلى طلب الصلح وفي عام 1659م ابتدأت المفاوضات الصلح ووقع الطرفان معاهدة البرانس(pyrenees) التي كانت ندير بانتهاء التفوق الأسباني وبداية التفوق الفرنسي وكان أهم شروطها أن تتولى فرنسا على ارثوا arlois بالقرب من الأراضي المنخفضة الأسبانية وعلى رسيون roussillon الواقعة في منحدرات جبال البرانس ومن شروط المعاهدة أن يتزوج لويس الرابع عشر (ماري تزيرا) ابنه ملك أسبانيا فيلب الرابع وقد اعترف لويس في المعاهدة بأن هذا الزواج لا يترتب عليه أي حق في وراثة عرش اسبانيا، وكانت معاهدة البرانس ختام المنجزات التي تمت على يد مزرات ولم يطل أجله بعد ذلك ومات سنة 1661 وكان لويس عندئذ في الثالثة والعشرون من عمره.[1] وبذلك دخلت فرنسا مرحلة جديدة من التفوق داخل القارة الأوربية.

لويس الرابع عشر:

تولى لويس الرابع عشر مقاليد الامور بنفسه في فرنسا عازما على ان ينفرد بالسلطة ولايترك المجال لوزير أو صاحب حظوة لتوجيه شؤون الدولة مستقلا عن الملك، ولقد عبر عن سياسته هذه تعبيرا عميقا عندما كان يردد بفخرواعتزاز (الدولة أناLetat c.eat moi).[2]

فقد كان داهية في سياستة لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا تصرف فيها بنفسه حتى صار صاحب مدرسة في أصول الحكم وقد ساعد الحظ بوجود نخبة من رجال ذوي قدرة فائقة يعملون في خدمته وفي مقدمتهم (كليبر Colbert) من أمهر المديرين الماليين و(ليونlyonne) السياسي البارع (كندية cant) الفارس الشهير و(فوبان vuhban) المهندس الحربي الماهر، و(لالفوا louvois)

[1] – البطريق والنوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 204 – 205

[2] – نفس المرجع، ص 205.

وزير الحربية وغيرهم ممن كانوا عونا له في سياسته الداخلية والخارجية[1]حتى لقب " الملك الأعظم le grand monexque " [2]

الإصلاحات الاقتصادية والعسكرية:

كانت الحقبة الاولى من حكمه حقبة إصلاح على يد وزرائه ورجاله العاملين في خدمته وعلى رأسهم وزير المالية " كليبر " الذي نشأ في عهد مزران وتدرب على يديه، ثم عين وزيرا في 1661م وكان أول ما فكر فيه أن يعيد الحالة المالية إلى سيرتها الاولى ويخلص البلاد من حالة الارتباك والفوضى الاقتصادية التي كانت تعانيها منذ نصف قرن، وقد كان شعاره "أن عظمة فرنسا إنما تتوقف على ثروتها، وأن ثروتها تتوقف على العمل، وإن قوة الامة لاتقوم بالأزياء البراقة وإنما تقوم بالعناية بالصناعة والتجارة والزراعة والخدمات التي تؤديها كل طبقات المجتمع " ولذلك وضعت مالية الدولة خطة إصلاحية حازمة تؤدي إلى زيادة الثروة القومية عن طريق تنظيم الضرائب وتنمية الموارد الزراعية والصناعية والتجارية. ([3])

1- الإصلاح الصناعي والتجاري:

يرجع إلى كليبر الفضل في جعل فرنسا دولة صناعية كبرى فشجع الصناعات الموجودة مثل صناعة المنسوجات والسجاجيد والحرير وأنشأ صناعات جديدة مثل الزجاج والخشب والصلب واستدعى كليبر بأثمان باهضة عدد من الفنيين والصناع الاجانب، وقدم لهم الملك رؤوس الأموال الازمة لإنشاء المصانع وشراء المواد الخام بسخاء كما كان يقدم لهم جوائز للعمال والمتفوقين، وكان هدف كليبر أن يحرر فرنسا من الاعتماد على الخارج في المصنوعات كخطوة أولى من أجل الوصول إلى جعل الخارج يعتمد على فرنسا في استيراد مصنوعاته فأكثر من وضع اللوائح والتعليمات للصناع وأجبرهم على التوقيع بإسمهم على مايصنعون الامر الذي تطور فيما بعد إلى العلامة التجارية، وأما بالنسبة للتجارة فعمل على حماية المنتجات الفرنسية بفرض ضرائب مرتفعة

---

[1] – هربرت فيشر، اصوال التايخ اوروبس الحديث من النهضة الاوربية الى الثورة الفرنسية ، المرجع السابق ، ص 303، 308.

[2] – البطريق و النوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، المرجع السابق ، ص 206.

[3] –نفس المرجع ، نفس الصفحة.

على السلع الأجنبية في نفس الوقت الذي قلل فيه من الضرائب على المنتجات الفرنسية تشجيعاً للتجارة مع الخارج ومع أقاليم ماوراء البحار ([1]).

وكانت هناك صعوبات تواجهه في الداخل وخاصة وأن بقايا النظام الإقطاعي كانت موجودة ممثلة في شكل جمارك داخلية بين المقاطعات وشجع كليبر التجارة الخارجية وعمل على إنشاء شركات التجارة البحرية مع الهند الغربية والهند الشرقية وشرق البحر المتوسط مع السنغال، وقد ارتبط كل ذلك بإنشاء بحرية فرنسية قوية، ونجح كليبر في إنشاء أسطول تجاري هام، كما عمل على إنشاء أسطول حربي للمحافظة على خطوط المواصلات مع المستعمرات الفرنسية وبخاصة كندا التي كان يرغب في تحويلها إلى مقاطعة فرنسية ووضع نظام للتجنيد في البحرية وأنشأ صندوقا لمصابيها ومدرسة لتخريج ضباطها، وأهتم كليبر بالزراعة وشجع تربية المواشي والخيول وزراعة الكروم وأشجار التوت اللازمة لدود الحرير، ونجح كليبر في كل ذلك رغم العقبات التي كانت تواجهه في سياسة لويس الرابع عشر العسكرية الملية بالبذخ وحياة العظمة، وقد بلغه كليبر بذلك، ولكن لويس الرابع عشر كان ممتلئ غرورا نتيجة لانتصاراته، ورفض الاستماع إلى كليبر فتخلص منه، وجاء بعده لوفوا الذي ظل وزير للحربية لمدة 25 عام (1666م – 1696م).

لقد أمضى لويس الرابع عشر ثلاثين سنة من حقبة حكمه التي بلغت 55 سنة في الحروب، الأمر الذي أدى إلى تغيير كامل في النظم العسكرية في فرنسا، وفي نفس الوقت الذي حدث فيه هذا التغيير في الدول الاخرى وتحول نظام الجيش من جيش مؤقت إلى جيش نظامي دائم، وكل هذه الوسائل الاقتصادية والعسكرية ساعد لويس الرابع عشر في تطبيق سياساته والقيام بحروبه في أوروبا. [2]

2- سياسة لويس الرابع عشر الدينية (إلغاء مرسوم نانت 1685م):

أصبح لويس الرابع عشر بعد الحرب أقوى ملك في أوروبا، وفي سبتمبر 1681م أحتل ستراسبورغ أقوى مدينة في الالزاس وكانت تابعة للأمبراطور وهنا أراد لويس أن لا تصبح فرنسا متحدة دينيا بعد أن اتحدت سياسيا، ولهذا لم يشأ أن يبقى طائفة في فرنسا تدين بمذهب يخالف

[1] – جلال يحى ، معالم التاريخ الاوروبي، المرجع السابق، ص59.

[2] – نفس المرجع ، ص 58، 60.

مذهب الملك، فألغى مرسوم نانت 1685م وصودرت الديانة البروتستانتية في فرنسا، وفقد الهيجونوت حرية العبادة والمساواة امام القانون فهاجر عدد كبير منهم يقدر بخمسين ألف أسرة ومعهم ثروتهم وصناعتهم ولجأوا إلى هولندا وانجلترا وروسيا وأمريكا فكانت خسارة كبرة بفقدها هذه الطائفة النشيطة.[1]

3- سياسته وحروبه:

احتلت فرنسا طوال عهد لويس الرابع عشر المكانة الأولى بين الدول الأوربية وكانت أقوى مملكة ومركز السياسة العامة وحين كان يذكر خارجها اسم الملك فإن ذلك يعني ملك فرنسا دون غيره، وأظهر لويس الرابع عشر منذ أول حكمه اهتمامه بالا يتقدم سفير دولة أجنبة على سفير فرنسا في أي عاصمة، وحين ادعت انجلترا ضرورة تحية السفن الاجنبة لعلم السفن الانجليزية رفض لويس الرابع عشر ذلك وأصر على ضرورة تقديم السفن الانجليزية تحية العلم الفرنسي ثم تقوم سفن فرنسا بالرد على ذلك.[2]

أما بالنسبة لسياسة لويس الرابع عشر الخارجية فإنها انحصرت في الآتي:

1. الوصول إلى الحدود الطبيعية لفرنسا من خلال الوصول إلى جبال الالب والبرانس في الجنوب الشرقي.
2. تقوية آل بوربون على حساب الهانسبورج من النمساويين والأسبان مما استلزم دخول لويس الرابع عشر عدة حروب.[3]

وكان تحقيق هذه المشروع يتطلب ضم الاراضي المنخفضة وفرانش كونتيه واللورين والسافوي، وكانت فرانش كونتيه والاقاليم المنخفضة تابعة لملك أسبانيا وادعى لويس الرابع عشر حقه في الحصول عليها حق طبيعي لزوجته ماريا تريزا الابنة الكبرى لفيليب الرابع والوارثة الشرعية لملك أسبانيا، وأما اللورين والسافوي فكان يرغب في الحصول عليها بالتبادل بعض القطع الرئيسية

---

[1] – هربرت فيشر ، اصوال التايخ اوروبس الحديث من النهضة الاوربية الى الثورة الفرنسية، المراجع السابق ، ص 307، 308.

[2] – جلال يحيى ، معالم التاريخ الاوروبي ، المرجع السابق ، ص 61.

[3] – صالح حسن العكيلي ، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة ، المرجع السابق ، ص 183.

في الميراث الاسباني الكبير. وهكذا كانت مسألة الوراثة الاسبانية هي حجز الزاوية في سياسة لويس الرابع عشر طوال مدة حكمه.

ولم يتمكن لويس الرابع عشر من تحقيق كل ذلك، فلقد اصطدم بإدعاءات معارضة تقدم بها ليوبولد إمبراطور ألمانيا وزوج الابنة الثانية لفيليب الرابع أي أخت زوجة لويس الرابع عشر، كمال اصطدم بمعارضة جيرانه الهولنديين والانجليز الذين أثار قلقهم إزدياد قوة فرنسا بسيطرتها على الاراضي المنخفضة وكان هذه هو سبب نشوء التكتلات والحرب الهولندية وحرب عصبة اوجزبرج ، وبعد حروب ثلاث ضد اسبانيا لم يتمكن لويس الرابع عشر إلا من ضم جزء من الفلاندر وفرانتش كونه وعلى العكس من ذلك نجد أنه في نهاية حكمه قد تخلى عن أي مشروع آخر لتوسيع حدود فرنسا وأخذ يحارب من أجل أسبانيا التي كان قد حاربها بإستمرار من قبل، ذلك أنه كان قد وضع أحد أحفاده وهو دوق انجو فيليب على عرش أسبانيا وهو الذي عرف بإسم فيليب الخامس وذلك بعد حروب دامت ثلاثة عشر عام انهكت موارد فرنسا.[1]

وكانت اسبانيا في ذلك الوقت قد أصابها الضعف وتفككت الإمبراطورية والإمارات الألمانية بعد حرب الثلاثين ولم يتبقى سوى انجلترا وهولندا أما من ناحية انجلترا فحصلت على كسب ود شارل الثاني بالمال واستغل ما كانت تعانيه هولندا من أزمة داخلية عصيبة، غامر بفرنسا في عدة حروب كان تأثيرها في النهاية على فرنسا نفسها[2] وعليه سوف نتطرق إلى هذه الحروب.

[1] – جلال يحيى ،معالم التاريخ الاوروبي، المرجع السابق ، ص 63.

[2] – هربرت فيشر ، اصوال التايخ اوروبس الحديث من النهضة الاوربية الى الثورة الفرنسية ، المرجع السابق ، ص 307.

1- حرب الانتقال: (1667م – 1668م) أو فتح الأراضي المنخفضة الأسبانية (بلجيكا)

على أثر وفاة فيليب الرابع ملك اسبانيا [1621م – 1665م] الذي كان من الهاسبورغ وادعى لويس الرابع عشر أن زوجته، وهي (بنت فيليب الرابع) وأخت الملك الجديد في اسبانيا شارل الثانيCharles (1665م – 1700م) يجب أن ترث الأراضي المنخفضة الاسبانية (بلجيكا) بغية، ضمها إلى فرنسا لذا رفضت اسبانيا ذلك فنشبت الحرب بين الطرفين وانتصر فيها لويس الرابع عشر بعد أن ضمن حياد السويد وهولندا والولايات الألمانية البروتستانبيتية ولاسيما بعد أن هدد الامبروطور النمساوي بالحرب الأهلية إذا تدخل للدفاع عن اسبانيا كما استغل لويس الرابع عشر فرصة الحرب بين انكلترا وهولندا في أمريكا (1665م – 1667م)، وفي المحيط الشمالي ليتفرغ للأسبان فسقطت مدنهم أمام قواته سريعا[1] ، ولكن هولندا التي كانت دولة قوية في ذلك لوقت رأت في وجود لويس بالأراضي المنخفضة خطراٍ، عليها سارعت إلى تكوين التحالف ثلاثي من انجلترا والسويد وهولندا ضد لويس، ففصل لويس الصلح بعد أن استولى على بعض بلدان على الحدود أهمها (شارلون charleoi) و(ليل lille) و (تورني tournai) وثمانية بلدان أخرى، وكان ذلك بمقتضى معاهدة أكس لاشابل aiycu chepelle 1668م، ولكن هذه النتيجة التي انتهت إليها مغامرة لويس الرابع عشر، تركت في قلبه مرارة ضد الهولنديين الذين اعبرهم ركيزة التحالف الثلاثي كما تركت الخوف في نفوس الهولنديين من الوجود الفرنسي في الأراضي المنخفضة.[2]

2- حرب لويس الرابع عشر ضد هولندا [1672– 1678] حرب الأراضي المنخفضة البروتستانتيه (هولندا):

رأى لويس الرابع عشر أثناء حربه في الأراضي المنخفضة (هولندا) أنها العقبة والمؤسسة للتحالف الثلاثي ضدها، فأراد أن ينزل بها عقابا على فعلتها هذه، بالإضافة إلى أنها كانت مهد الكلفينية التي يكرهها، كما كانت ملجأ للهيجو نوت المضطهدين في فرنسا وتعمل على تشجيع طبع

---

[1] – صالح حسن العيكلي ، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة ، المرجع السابق، ص 184.

[2] – هربرت فيشر، اصوال التايخ اوروبس الحديث من النهضة الاوربية الى الثورة الفرنسية، المرجع السابق ، ص 307.

كتبهم ونظامها الديني، ولكنه قبل أن يخوض غمار الحرب ضدها عمل جاهداً من أجل حل التحالف الثلاثي، ففاوض شارل الثاني ملك انجلترا وعقد معه معاهدة (دوفر dover السرية)، 1670م، وتعهد لويس الرابع عشر بمقتضاها بإمداد ملك انجلترا بمبلغ من المال، وامداده بقوات فرنسية عند اللزوم لفرض الكاثوليكية على انجلترا، مقابل اتحاد انجلترا مع فرنسا ضد هولندا نظير مبلغ من المال، ونجح في جعل الأمبراطور وكثيراً من الامراء يقفون على الحياد، ثم أعلن الحرب على هولندا سنة 1672م وكان قد أعد لذلك جيشا كبير بقيادة تورين turenne وكندية conde ودمر ثلاث ولايات ونحو اربعين مدينة في مدة ثلاثة أشهر.

ولما اشتدت الأزمة الحربية لم يسع الهولنديين إلا قطع سدود البحر عند أمستردام فقطع الماء وأغرق سهول البلاد وطرقها، مما شل من قدرة الجيوش الفرنسية على الحركة والتقدم، وارتد الفرنسيون وأحست أوروبا بالحظر الدى سوف يزيد من استفحال قوة لويس فأخذ أمراؤها يعملون على تلافي ذلك الخطر ، وكان وليم أورنج قد نصب رئيسا للجمهورية في هولندا، وعزم على الاستمرار في الحرب، وعدم الخضوع مهما كلفه ذلك، واستطاع أن يكسر التحالفات التي أقامها الفرنسيين ولذا فإن لامبراطور ونائب برندبرج اعلنا الحرب على فرنسا 1672م فتم طردهم من لورين واسبانيا 1673م والدنمارك 1674م، وبعد ذلك البلاتين وتخلى عنها امراء ألمانيا كما أضطر البرلمان الأنجليزي عام 1674م إلى مهادنة الهولنديين فلم يبقى احد الى جانب فرنسا غير السويد [1]، فوجد لويس نفسه في عزلة خطيرة وإنه أصبح في مواجهة تحالف يضم عددا كبيرا من الدول الأوربية، وفي نفس الوقت أشعر الدول أن ليس في مقدوره[2]، أن يكسب بالسيف أكثر مما استولى عليه وعقد معاهدات مع اعدائه كل على إنفراد، وعرفت هذه المعاهدات جميعا بمعاهدة ((نميجن [nimwegen])) سنة 1678م، وبمقتضاها خرجت هولندا من الحرب دون أن تفقد شيئ من أراضها وتنازلت لفرنسا عن فرانش كنيته ، وتنازل الامبراطور عن فريبرج وأخذ بدلا منها فليبرج، وبسطت فرنسا سيادتها الأسمية على الالزاس واللورين [3].

---

[1] – هربرت فيشر، اصوال التايخ اوروبس الحديث من النهضة الاوربية الى الثورة الفرنسية ، المرجع السابق ، ص 307 – 308.

[2] – البطريق، نوار ، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 210.

[3] – هربرت فيشر ،اصوال التايخ اوروبس الحديث من النهضة الاوربية الى الثورة الفرنسية ، المرجع السابق، ص 207 – 208.

3- حرب البلاتين أوحرب عصبة أو جزبرج (1688م – 1697م)

سخط العالم البروتستانتي على سياسة لويس ضد الهيجونوت واحتلاله مدينة استرا سبورج الحرة ذات الاستقلال العريق على غير رغبة الامبراطور فتكون حلف أوجزبرح سنة 1688م بين الامبراطور واسبانيا والسويد وامراء ألمانيا الشمالية وهولندا لمقاومة فرنسا، واجبارها على العودة إلى التقيد بمعاهدات وستفاليا ونمويجن والتخلي عن كل ما استولت عليه من مكاسب أقليمية خلاف الأحكام هذه المعاهدات، وكانت انجلترا عضوا في الحلف لأن وليم وارنج حاكم هولندا، دعا سنة 1688م ليكون مع زوجته ماريا ملكا على انجلترا وفي سبتمبر 1688م أعلن لويس الحرب على الامبراطور، فأعلن أعضاء الحلف الحرب على فرنسا، وفي 1689م، اصبحت الحرب عامة، خاض اغمارها كل دول الحلف، وشعر لويس بثقل أعبائها ولاسيما بعد موت كليبر مهندس ماليته العظيم، وواجه مصاعب في جمع المال اللازم لجيوشه الضخمه، وبعد مواصلة الحرب مدة ثمانية أعوام، ضاق الفريقان من الحرب، وابتدأت المفاوضات بالصلح وتمت شروط الصلح بين المتحاربين في معاهدة ((رزديك Ryswick)) عام 1697م، على أن تتقيد بالشروط الآتية:-

- تتخلي فرنسا عن كل البلاد التي استولت عليها منذ معاهدة تمويجي ماعدا استراسبورج stras boury، وأن تترك لهولندا على تحصين الحصون الواقعة على الحدود الفرنسية لتحفظ حدود بلادها.
- أن ينصب كلمنت دوق بافاريا أسقافا على كلونيا وأن يعترف لويس الرابع عشر بحق وليم الثالث لعرش انجلترا.[1]

ولاشك ان معاهدة " رزديك " كانت صدمة سياسية لفرنسا فقد أثر على سمعتها الحربية وأذل كبرياءها، ولكن لويس كان مضطر لتوقيعه، ولاسيما عندما ظهرت مشكلة أخرى أشد تعقيدا، وأكثر أهمية وهي مشكلة الوراثة الاسبانية [2].

4- حرب الوراثة الاسبانية (1700 – 1713 م)

---

[1] - عبدالمجيد النعنعي ،اوروبا في بعض الازمنة الحديثة والمعاصرة ، المرجع السابق ، ص 149 – 150.

[2] - البطريق، نوار ، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 215.

لم يكن شارل الثاني "ملك اسبانيا قد خلف من يرث الملك من بعده، ولكن كان له أخت كبرى قد تزوجها لويس الرابع عشر، وأخت ثانية تزوجها الامبراطور ليوبولد وحفيدة تزوجت من منتخب بفاريا، وكان كل من لويس والامراطور يرنو ببصره، إلى ملك أسبانيا، ولكن الدول الاوربيية في ذلك الوقت، طبقا لمبدأ التوازن الدولي لم تكن لتشغل اتساع أملاك لويس، أو الإمبراطور، خاصة وأن مد التوازن الدولي كان يقتضي بعدم السماح لأية دولة بزيادة ممتلكاتها في أوروبا زيادة من شأنها إخراج مركز الدولة الأخرى، كان لويس يعرف ذلك، ولهذا عمل على كسب ود (وليم الثالث) ملك انجلترا، وكان العدو القوي للويس اتفق معه على تقسيم الوراثة الاسبانية بحيث يصبح منتخب يفاريا ملكا على اسبانيا، ولكن شارل الثاني ترك وصية للويس الرابع عشر الوارث الوحيدة للممتلكات الأسبانية، وهنا لم يلتزم لويس باتفاقية مع وليم، وأرسل صغيره إلى اسبانيا ووضع يده على كل شيء، ونصبه ملكا على اسبانيا باسم فليب الخامس، فتكونت ضده التحالفات الكبرى من انجلترا وهولندا والإمبراطور وبروسيا، حيث اعتبر عمله مخلا بالتوازن الدولي، وكانت أهم ميادين الحرب في الاراضي المنخفضة وكسب الحلفاء مواقع حربية من لويس الرابع عشر أهمها (بلهيم Blenheim) 1701م، و(راmليس Ramilles)) 1706م،(اوديناود oldenard 1708) ، (وملبلاكيه 1709Malplaquet) ، وقد برزت خلال هذه الحرب إلى جانب الامتيازات السياسية المؤثرات الإقتصادية، والتنافس على المستعمرات،والصراع في البحار وحول خطوط المواصلات العالمية فيما بعدها وزاد في أهوالها، ولما طالت الحرب ملتها انجلترا وبخاصة عندما اصبحت الحكومة في يد المحافظين 1710م، وكانوا ضد مواصلة الحرب، وفي سنة 1711م أصبح الدوق شارل المطالب بحق الوراثة الاسبانية امبراطوراً، فأصبح من العبث اطالة الحرب، وكانت الظروف قد تغيرت وابتدأت روح التنافس بين أعداء فرنسا.([1])

فعقد معاهدة ((يوترخت Utresht)) أبريل سنة 1713م، ومن أهم شروطها:-

1- أن يكون فيليب دوق انجو ملكا على أسبانيا بشرط الا تضم هذه المملكة فرنسا في يوم من الأيام.
2- يستولي الأمبراطور شارل على الاراضي المنخفضة وميلان ونابولي.
3- يكون لهولندا الحق في تحصين مدن في الجهة الغربية من الاراضي المنخفضة عادية البلاد هامن فرنسا مثل مدن أبر، ونحنت، وترتاي، وهنس، وشارلروا، ونامور.

[1] – زينب عصمت تاريخ اوروبا الحديث من مطلع القرن الثامن عشر ؟، المرجع السابق، ص247.

4- أخذت انجلترا بعض مستعمرات فرنسا في أمريكا هي ((نيوفوندلند نوفا سكوتيو nova scottu خليج هدسن كما أخذت جزير(منورفه minorrca) وجبل طارق.

5- ضمت سرادنيا إلى دوقية سافوا، ورفض الأمبراطور الموافقة على شروط معاهدة يوترخت في البداية، ولكنه اضطر إلى الخضوع بمقتضى صلح (راستاء rasta) سنة 1714م.[1]

وكانت معاهدة يوترخت بداية عهد جديد، فقد انهت سلسلة الحروب التي حاولت بها أسره بوربون الفرنسية السيطرة على أوروبا، وزال ذلك الخطر إلى الابد، ولم تجني فيها فرنسا الا تعيين فيليب الخامس صغر لويس الرابع عشر ملكا على اسبانيا، وخرجت انجلترا من الحرب دولة عظمى واصبحت بعد الاستيلاء على قاعدة جبل طارق أعظم قوة في البحر الأبيض المتوسط.[2]

وبعد ذلك وصلت فرنسا في العقد الأخير من القرن السابع عشر مكان أسبانيا في السيادة على أوروبا، وأصبحت عائلة بوربون نداً لعائلة الهاسبورغ مع توسع فرنسا شرقاً، ولكن دون أن تصل إلى نهر الراين أو جبال البرانس على الرغم من حصولها على الالزاس وفرانتش كونتيه في وقت أصبحت الخزينة الفرنسية خاوية، وأصبح الناس يشكون من الحكم المطلق وصلاحيته لحكم البلاد، وكانت البداية الأولى للثورة الفرنسية.

---

[1] – زينب عصمت ، تاريخ اوروبا الحديث من مطلع القرن الثامن عشر، المرجع السابق ، ص 245 – 247.

[2] ـ البطريق، نوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، المرجع السابق ،ص 214.

المبحث الثاني

ظهور روسيا وبروسيا على مسرح الاحداث الاوروبية

ظهور بروسيا:

تعتبر بروسيا واحدة من أهم الدول التي ظهرت في العصر الحديث ومنذ أصبحت قوة لها مكانتها في أوروبا منذ منتصف القرن الثامن عشر ارتبطت كثيراً السياسات الاوربية في قلب القارة وبالموقف الذي يتخذه ملك بروسيا.[(1)].

ظهرت نواة بروسيا في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي حيثما باع في الإمبراطور سحسبمون (1410م– 1437م) قطعة من أرض تعرف بمارل براندبرغ (ولمارل يعني ولاية حدود) مساحتها 150كم[2] تقريبا، والتي تحيط بمدينة برلين إلى عائلة هوهنزلرن وهي من الأسر النبيلة في جنوب ألمانيا ويحمل لقب ماركريفر، (ويعني نبيل وحاكم عسكري) وهي منطقة فقيرة مجدبة من الناحية الاقتصادية وقليلة السكان، إلا أنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة للأمبراطورية الرومانية المقدسة لأنها تعد موقعا متقدما في حدودها الشرقية لترد عنها غارات القبائل السلافية، و مانجحت به فعلا بدمج مارك براندنبج إلى هوهنزلرن، وهو أحد النبلاء الالمان، أما المقاطعات المسماة بدوقية بروسيا فإنها تقع شرق براندبرغ، وقد تعرضت لغزو الفرسان التيوتونيين، ولما تدهور حكم الآخرين أصبح فرع من عائلة هوهنولرن يحكم هذه الدوقية، بينما توسعت ممتلكات براندبرغ في السنوات التالية، وحصل على لقب ناخب عام 1417م فأخذ يشترك في انتخاب إمبارطور الأمبراطورية الرومانيةالمقدسة. (2)

كان حكم مقاطعة براندبرج من بيت هوهنزلرن في خصام مضطرب خلال الحروب الدينية التي اجتاحت ألمانيا خلال النصف الاول من القرن السادس عشر، وخلال هذه الأزمة وجد ناخب براندبرج أن مصلحته تتركز في أن يقف إلى جانب الامراء الالمان اللوثرية ضد الإمبراطور شارل الخامس وتحول الناخب نفسه للوثرية ومع هذا ظل الهولنزلرن في حكم مقاطعة براندنبورج على

---

[1] – البطريق، نوار ، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 265

[2] – صالح حسن العكيلي ، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة ، المرجع السابق ، ص 224.

هامش الأحداث الكبرى حتى إذا ما امتدت سيطرتهم إلى بروسيا "prassia" برز دورهم في المجال الدولي، إذ أن امتداد حكمهم إليها وإلى برميرنيا* يعتبر من أهم تطورات أوروبا خلال القرنين السادس عشر والثامن عشر [1]، إن مثل هذه الأوضاع الاستراتيجية والسياسية التي قد فرضت نفسها على الهولنزلرن حثتهم على اتباع سياسة خاصة سواء نحو الدول الكبرى المجاورة أو نحو الاقاليم الواقعة تحت حكمهم. [2] كانت ممتلكات اسرة هوهنزلرن تكون من منتخب بساندبورج ومن براندوبروج ودوقية بروسيا ودوقية كليف.[3]

كما كانت تحث على أن يصبح توحيد هذه الوحدات السياسية وترابطها سياسيا وجغرافيا هدفا سياسيا رئيسيا من أهداف أسرة الهولنزلرن. [4]

وقد شهدت أراضي بروسيا خلال حرب الثلاثين عاماً اجتياحا مستمرا من قبل جيوش ملك السويد، وغيرها، مما أشاع الدمار فيها، يضاف إلى ذلك ضعف سياسة ناخبها جورج وليم (1619م – 1640م) التي أدت إلى زيادة طمع الآخرين في بروسيا وأضاع عليها فرصة استغلال أحداث الحرب لتحقيق مكاسب إقليمية تسهل عملية اتصال أراضيها المتناثرة والدفاع عنها أمام الدول الكبرى المحيطة وهي الإمبراطورية النمساوية وفرنسا والسويد وبولندا. [5]

بروسيا في عهد فردريك وليم (الناخب الكبير) [1640 م– 1688 م]:

كان أمراء بروسيا من آل هولنزلرن يلقبون أثناء القرن السابع عشر بناخبي براندنبروخ، وأصبح أحدهم، وهو فريدريك وليم (1640م – 1688م) يسمى الناخب الكبير لاهميته، وقد كان فريدريك وليم يدرك بعد تولي الحكم قدراته العسكرية محدودة ، وإنه كان يريد الارتفاع إلى مستوى المساهمة في المفاوضات (صلح مؤتمر وستفاليا) الدائرة فيجب أن يخلف جيش قوي يحقق به الهدف وحيث أن جيشه كان مؤلفا في غالبيته العظمى من المرتزقة الذين لايمكن الاعتماد على إخلاصهم

---

[1] – البطريق، نوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، المرجع السابق ص 266.

[2] – نفس المرجع ، ص 268 .

[3] – يحيى ، جلال ،التاريخ الاوربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 119 .

[4] – البطريق، نوار، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 269.

[5] – صالح حسن العكيلي ، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة ، المرجع السابق ، ص 224.

المشكوك فيه فإنه سرح هؤلاء المرتزقة وكون جيشا جديدا من رعيته وكان مرتبطا به كل الارتباط، وليس معنى هذا ان فردريك وليم أعد جيشا ضخما جرارا لأن جيشه الجديد لم يتجاوز الثمانية آلاف جندي إلا أن هذا العدد كافياً لأن يحقق أهدافا كثيرة لفردريك وليم[1].

والسبب في هذا هو ان حجم الجيوش بصفة عامة لم يكن كبيرا وكانت الأسلحة النارية لاتزال محدودة الاستخدام، وكان في استطاعة جيش مثل جيش فردريك وليم أن يتزود بأسلحة نارية تمكنه من التصدي لجيش دولة كبيرة مثل الإمبراطورية الرومانية المقدسة، والحقيقة ربما يكون من العسير على جيش الهوهنزلرن الصغير نسبيا أن يتغلب على جيش دولة كبيرة أوروبية عريقة في التاريخ العسكري، ولكن ظروف العصر كانت لا تمكن الهولنزلرن من أن يصله إلى أهدافه في حرب ضروس وكانت الأمور الأوروبية والاتجاهات السياسية لاتتحكم بها قوة الجيش فقط، وإنما كذلك نظرية توازن القوى وبالتالي ستكون هناك دول كبرى في حاجة إلى جيش الهوهنزلرن ضد قوة أخرى تهدد باختلال هذا التوازن، وحيث أن ممتلكات الهوهنزلن على مقربه من قلب الإمبراطورية الرومانية المقدسة فإن جيش هذه الأسرة الحاكمة يجب ان يحسب حسابه خاصة، وأن فريدريك وليم عنى بتجهيزه وإعداده أعظم عناية، فلا غزو أن عرف كيف يمنع السويد من التهام كل بومبرانيا خلال حرب الثلاثين عاما أو في مؤتمر وستفاليا 1648م أو إستحوذ هو على جزء من بومبرانيا ضمن ممتلكاته، وكان استيلاء فردريك وليم على هذا الجزء من بومبرانيا من العوامل التي رسخت من مسؤولية الهوهنزلرن إزاء توحيد ممتلكاتهم، وكان هذا التوحيد يتطلب خطوات دبلوماسية وعسكرية كان فردريك نفسه في حاجة إلى اعتراف بعض الدول الاوروبية وخاصة الطامعة في بروسيا الشرقية مثل السويد، كما كان في حاجة لأن يصفي كافة الارتباطات الإقطاعية التي كانت تربطه بملك بولندا، ولهذا تحالف مع السويد ضد بولندا حتى حصل على اعتراف السويد به دوقا على بروسيا الشرقية، ولما انتصر على السويديين في 1675م، في معركة فهربلن fehrrbellin التي تعتبر إرهاصاً للعظمة الآتية في الايام المقبلة.[2] وكان فريدرك وليم المنتخب الكبير معاصر للملك لويس الرابع عشر، ولقد تمكن في فترة حكمه، والتي بلغت 48 سنة من أن يحقق هدفين أساسيين، وهما توحيد الممتلكات واستعمار واستغلال الأراضي.

[1] – صالح حسن العكيلي ، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة ، المرجع السابق ، ص 224.

[2] – البطريق، نوار ،التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، المرجع السابق ، ص 270.

ظهور الإمبراطورية الروسية الحديثة.

عاش الشعب السلافي في سهول أوروبا الشرقية مستخلفاً في ثورته الاقتصادية ومصارفة ومدينتيه، وقد تأثر الشعب الروسي بالكنيسة البزنطية، فاعتنق منذ القرن التاسع المذهب الارثودوكسي ويبدأ تاريخ روسيا الحديث منذ اعتلاء بطرس الاكبر (1672م – 1725م) العرش وهو من أسرة رومونوف التي استمرت تحكم روسيا حتى قيام الثورة البنشفية[1].

وقد كانت أغراض بطرس الاكبر في الاصلاح واضحة، فقد كان يهدف إلى جعل روسيا دولة أوروبية ممتدة وذلك بإدخال العادات المعيشية والفكرية الأوربية إلى بلاده الفكرية، وزيادة ثورة البلاد في النهوض بالصناعة وزيادة حجم التجارة، ولتحقيق ذلك أجبر الأشراف على الخضوع، وعلمهم أن التربية والخدمة في الجيش هي سبيل الرقي، وقضي على امتيازات الأشراف في الرشوة والاختلاس اللتين كانتا سائدين في الإدارة كما قام ببعثة إلى أوروبا فزار انجلترا وروسيا وهولندا والنمسا، وكان يهدف من وراء هذه البعثة الإطلاع على وجود الإصلاح، وممارسة الأعمال المختلفة وفعلا عندما عاد إلى بلاده بدأ في تنفيذ خططه، وشجع نشر العلوم، وإصلاح الإدارة، مستعينا في ذلك الفيلسوف الالماني لينتر، وقد كان المعارضون له يقفون في وجه اصطلاحاته، وكان على رأس هؤلاء المعارضين الحرس الوطني (المليشيا الوطنية) والبطريق، وتمكن هؤلاء من زيادة أفراد الحرس، ودمج كثيرا منهم بيده، أما البطريق فقد ألغى بطرس هذا المنصب سنة 1700م، عندما توفى البطريق، وأحل مكان هذا المنصب مجلسا مليا، ينتخب القيصرأعضاءه وبهذا أصبح القيصر رئيسا دينيا وكذلك سار بطرس بعد ذلك في سبيل الاصلاح على الأسس الاوربية فدعا الفلاحين والعمال وصناع السفن الأوربيين إلى الإقامة في بلاده وأدخل الزي الغربي وجعله إجباريا، ولما كانت السويد تقف في وجه آمال بطرس في التوسع، وبخاصة في توسعه نحو بحر البلطيق، فإن بطرس استطاع هزيمته في معركة "بلطاوة " في مايو1709 م، ومنذ ذلك الحين وروسيا تتبوأ مكانها بين الدول، وحيث نزلت السويد من مكانتها المتفوقة في الشمال ووصلت روسيا كلها، وفي 1721م استطاع بطرس الأكبر أن يحقق آماله الواسعة صفعة واحدة فقد تمكن من وضع يده على ولايات البلطيق، وعلى مقاطعات يتولانيا libuanin وانجرياingrie واستوانيا estonis، وذلك بمقتضى معاهدة نيستاد nystadi أغسطس 1721م، وقد ركز بطرس الاكبر

[1] – عبدالرحمن عبدالرحيم ، التاريخ الاوروبي المعاصر، المرجع السابق، ص 138 - 139

السلطة العليا في يد الصغير والدليل على ذلك أن الحكومة العنصرية التي أنشأها بطرس بدأت تتزعزع حين انتقل الحكم إلى يد خلفائه وسيطرة النساء تقترب من سبعين عاما ماتكاد تكون متوالية بعد وفاة بطرس، وقد استخدمت كاثرين الثانية (1729م– 1796م)[1] وهي المانيه بروتستانتية، أما والدها فهو الامير الالماني كرستياني أوغسطس، فلما بلغت الخامسة عشرة من عمرها جسى بها إلى روسيا خطيبة للدوق الأكبر بطرس ووريث البرابيت، الذي أصبح فيما بعد الصغير بطرس الثالث، فتقرر الزواج في9 تموز 1744 بينما دخلت صوفيا الكنيسة الأرتودكسية في موسكو وحظى هذا الزواج بتبريك فرويك الكبير (1740م– 1986م) ملك بروسيا الذي أراد تقوية الصداقة بين مملكته وبين روسيا وأضعاف النفوذ النمساوي.[2]

وأما أهمية عهد كاثرين من الناحية الخارجية فكانت أكثر قيمة فقد وصلت كاثرين بسياستها في الاعتيال بأوروبا، فاتفقت مع روسيا والنمسا على تقسيم مملكة بولندا، وكان نصيبها منطقة واسعة من الأراضي، مكنتها من ان تجعل حدود روسيا تطل على أوروبا الوسطى، وكذلك اعلنت كاثرين الحرب على الدولة العثمانية مرتين الاولى عام 1768 – 1774 م، التي انتهت بمعاهدة كونتشوك كينجارجي kutchak kainavdi في يونيو1774، والثانية في عام 1787 – 1792 م، وانتهت بمعاهدة باسي besy في 9 يناير 1792م، ولكن إثبات العثمانيون وجزع الدول من إزدياء تقدم الروسي لم يهي الكارثرين نجاحا إلا في الاستيلاء وعلى القرم وشواطئ البحر الاسود الشمالية من القوقاز حتى نهر الدينستر ويمكن أن يقال أن املاك روسيا في ذلك العهد اتسعت بما لايقل من مساحة النمسا. [3]

ويمكن ايجاز النتائج البعيدة المدى لمؤتمر وستفاليا :

---

[1] – عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، التاريخ الأوروبي المعاصر، المرجع السابق، ص138–139– 140.

[2] – صالح حسن العكيلي ، محاضرات في تاريخ اوروبا في عصر النهضة ، المرجع السابق، ص 221.

[3] – عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ،التاريخ الاوروبي المعاصر، المرجع السابق ، ص 141.

1- تعتبر فاتحة لما يسمى فيمابعد "دبلوماسية المؤتمرات" التي اتخذت صورة مقابلات بين الملوك والامراء لتبادل وجهات النظر بمؤتمر وستفاليا كان نتيجة لأول اجتماع عقد بين الملوك والامراء في هيئة مؤتمر.

2- أقر مبدا المساواة بين الدول دون النظر إلى الانظمة الداخلية، ونظمها الدينية فكان هذا المؤتمر بمثابة الخطوة الاولى نحو تثبيت علمانية العلاقات السياسية الدولية.

3- اقر فكرة توازن القوى بين الدول أوربا باعتبارهاوسيلة لصيانة السلام من خلال ردع الدول التي تسعى على حساب دول أخرى والحيلولة دون هذا التوسع لكي لايختل توازن القوى بين الدول.

4- اقر نظام البعثات الدبوماسية الدائمة محل البعثات الدبلوماسية المؤقتة،وهذا القرار ادي فيما بعد الى اقرار القواعد الدبلوماسية المتمثلة في الحصانات، والامتيازات الخاصة برجال السلك الدبلوماسي، والتي لم تكن معروفة من قبل.

5- انتصار الملكيات الوطنية علي البابوية سجل علي الصعيد السياسي، وعلي الصعيد الديني، واقرت الحرية الدينية التامة في الدول الاوروبية باستقلال عن روما.

6- من ذلك التاريخ (1648م) اعترفت الدول الاوروبية ببعضها البعض واعترفت بحق وجودها ضمن الحدود التي اتفق عليها، كما اعترفت الدول الاوروبية بأن هناك قدرا من المصالح السياسية المشتركة فيما بينها.

7- مع تسوية مؤتمر وستفاليا، ولد نظام جديد لدول اوروبا، وأن مؤتمر وستفاليا أنشأ رسميا ذلك النظام (The stat system of Europe) فقد الفت تلك الدول جماعة دولية تتداول في شؤونها المشتركة واحيانا في التنظيم الداخلي لكل دولة.

8- مؤتمر وستفاليا اعتبر سلام اوروبا حالة من العلاقات الدولية متفق عليها، وظل امن دول اوروبا يعتمد علي تسويات سليمة وشاملة، كماوضع مؤتمر وستفاليا العناصر الاولية للقانون الاوروبى العام فقد جرى الاعتراف بسيادة الدول والمساواة بينها على المبادى الاسياسية للعلاقات الدولية ومن اجل حل المسائل المشتركة.

9- في تنظيم أوروبا الجديدة كل شي يقوم علي تعادل القوى وضمان الاوضاع الحاصلة بانشاء اوزان مضادة، فتعاظم الامراء البروتستات في ألمانيا يصبح الوزن المقابل للسلطة الامبراطورية الجرمانية.

الخاتمة

من خلال ماتم تناوله في فصول البحث من دراسة تحليلية تبرز عدة نتائج نجملها في الآتي:

1- أن ظهور اللاهوتية الجديدة (البروتستانتية) قد هزت جذور الاستبداد لرجال الدين المسيحي وساعدت على نمو الدولة الزمنية وخففت من قبضة التقاليد التي كانت سائرة في حياة وعقول الناس، كما كان لهذا الإصلاح محاولة لإعادة كشف أحوال الحياة والأساليب التي درجت عليها الكنيسة المسيحية.

2- أن المجتمع الألماني كان يعاني من أزمة مالية جراء استحصال الكنيسة على الأموال من الألمان، وبطرق متعددة منها بيع صكوك الغفران وكانت لهذه الأزمة دور في تعطيل الإصلاح الديني، حيث كان الإنسان المسيحي يعتقد بان النجاة من العقاب يأتي عن طريق البابا، وكان هذا من تأويل الباباوات حيث حالت الكنيسة دون قيام نظام اجتماعي عادل تسوده القيم والأخلاق في بساطة المسيحية الأولى، فقد أنكر الباباوات معظم التعاليم الدينية كالتي تقول أن الله وحده صاحب السلام والصفح، واخذ اهتمامهم في الأمور الدنيوية يسطو على عقولهم وانغمسوا في حياة الترف والبذخ وأدى هذا التطرف في سلوكهم الإنساني إلى هبوط وانحطاط في المستوى الأخلاقي.

3- أدى مارتن لوثر دوراً مهما في الإصلاح الديني في الولايات الألمانية، حيث عكف على دراسة التيارات الفكرية المختلفة التي كانت رائجة في عصره مثل التطرف والفلسفة الإنسانية، ولم تكن ثورته عادية على نظام حكم فاسد أو وضع اجتماعي بغيض، بل كانت ثورة على نظام لاهوتي فقد مصداقيته بكل ما يحمله هذا النظام من قوة لا تدانيها قوة سياسية واجتماعية، وقد استنتج لوثر من قراءته الدينية أن المسيحيين لا يفوزون بالخلاص بفضل مجهوداتهم الشخصية ولكن برحمة من الله لإيمانهم به، ودفعه هذا الاستنتاج إلى رفض بعض المبادئ والمعتقدات الأساسية الغير صحيحة في الكنيسة وردهم إلى حرية التفكير، وقاد لوثر الانشقاق الديني الذي انتهى بتطور المذهب البروتستانتي الذي يدين به اليوم معظم الأمريكيين والبريطانيين والألمان.

4- إن التيارات الفكرية والدينية التي جاء بها المصلحون الألمان ومنهم ماران لوثر كان لها حافز لأبناء الطبقة الدنيا من أهل الحرف والنساجين، ونظار الورش والفلاحين، وكل من عانى الاضطهاد من قيام ثورة اجتماعية واقتصادية وسياسية ضد سلطة البابا والإمبراطور

والملوك فليس من المعقول أن المشاعر الدينية التي حملها المجتمع الألماني في الثلث الأول من القرن السادس عشر، ولم تتأثر بما جاشت نفوس الناس من عواطف وخواطر ومصالح شخصية ومادية، فكان لكل هذه الحالات ودوافع خاصة ومسببات تشد بعضها إلى بعض.

5- دراسة مارتن لوثر الاسلام واستخلص منه مايتماش مع افكارها .

6- كان الإصلاح الديني أو الثورة الدينية في أوروبا أدت إلى انقسام الكنيسة المسيحية إلى البروتستانتية والكاثوليكية والأرثوذكسية.

الكنيسة البروتستانتية انتشرت في ألمانيا الوسطى والشمالية والدانمرك والسويد والنرويج وبريطانيا وشمال ايرلندا وأمريكا الشمالية واستونيا ولتوانيا، وقد اختلفت البروتستانتية عن الكاثوليكية والأرثوذكسية في عدم اعترافها بالأسرار السبعة، واختصارها على التعميد والتناول الذي يكون مقصوراً على الراشدين فقط.

الكنيسة الكاثوليكية ظلت سائدة في ايطاليا وفرنسا واسبانيا والبرتغال والنمسا وجنوب ألمانيا، وأراضي الراين وبلجيكا وايرلندا وأمريكا اللاتينية والفلبين.

الكنيسة الأرثوذكسية وتشمل شبه جزيرة البلقان وروسيا، وقد بقيت اسطنبول عاصمة لها حتى عام 1583م حيث انقسمت إلى قسمين أحداهما في اسطنبول والأخرى في موسكو بعد ان منح بطريق القسطنطينية بعض الامتيازات لرئيس الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا لتنظيم الكنيسة الروسية.

7- اثبت الدراسة ان حرب الثلاثين عاماً (1618م-1648م) قد خلفت وراءها خسائر مادية وبشرية أدت إلى إيقاف عملية التطور في عدد من البلدان حقبة من الزمن كما أنها تركت عقبات أمام تكامل الوحدة القومية ولاسيما في ألمانيا وايطاليا.

8- أن حرب الثلاثين عام (1618-1648م) كانت في البدء دينية ثم تحولت عام 1635م إلى صراع به النفوذ بين البث الفرنسي والإمبراطور وكانت هناك محاولة لإحياء السلطة الإمبراطورية على حساب أمراء الألمان وصغار الحكام ولكن فرنسا التي تمثل الدولة الوطنية تدخلت ضد الطموح الإمبراطوري وضد أبناء دينها الكاثوليكي، وكذلك تزعم غوستاف رردولف الكبير Gastavas ملك السويد (1611م-1632م).

9- ان عامل الدين لم يكن السبب الحقيقي في حرب الثلاثين عام (1618م-1648م) بل كانت أسباب سياسية واقتصادية هي التي أسهمت في زيادة واندلاع الحرب لتسع اغلب دول أوروبا.

10-لقد كان مؤتمر وستفاليا انتصاراً لفرنسا في تحقيق أهدافها وهي إضعاف أسرة الهاسبورج التي سعى اليه كل ساسته للوصول إلى التفوق بفرنسا داخل أوروبا.

11-لقد كانت النتائج البعيدة لمؤتمر وستفاليا "هي" ان توصلت فرنسا إلى التفوق وخاصة في فترة لويس الرابع عشر.

12-لقد كانت تسويات مؤتمر وستفاليا (1648م) هي إضعاف أسرة الهابسبورج وقد أدت إلى ظهور بروسيا كدولة قوية برندبرج.

13-ان مؤتمر وستفاليا، أنهى أخر ادعاءات الوحدة الأوروبية العضوية وكرس مبدأ توازن القوى وافرز عصر الدولة الوطنية (القومية) المستقلة ومنافساتها السياسية.

14-لقد أوجد مؤتمر وستفاليا نظاماً جديداً لدولة أوروبا مبنياً على المصالحة الدولية كما وضع مؤتمر وستفاليا العناصر الدولية لقانون أوروبي عام فقد جرى الاعتراف بالدول مثل سويسرا وبروسيا وانه دول ذات سيادة ومتساوية مع باقي الدول بينها، وهذا يعتبر بداية للعلاقات الدولية للحفاظ على النظام الأوروبي الجديد الذي أوجده مؤتمر وستفاليا.

15-لقد اقر مؤتمر وستفاليا إحلال البعثات الدبلوماسية الدائمة محل البعثات المؤقتة، كما يعتبر فاتحة لما سمي فيما بعد دبلوماسية المؤتمرات.

16-اثبت الدراسة ضعف نفوذ البابا أو البابوية، وكذلك تقلص الإمبراطورية الرومانية المقدسة وتدهورها وفقدانها الكثير من ممتلكاتها، فقد نال الأمراء الألمان في هذا المؤتمر قسطاً من حقوق السيادة فصار لهم الحق في عقد التحالفات فيما بينهم أو مع الدول الأجنبية فأصبحت الإمارات من الناحية القانونية في حكم المستقلة الأمر الذي ترتب عليه أن صار تفكك أوصال ألمانيا كاملاً، كما انسلخت عنها كثير من الولايات التي تشكل حدودها فلم تعد هولندا وسويسرا تابعان للإمبراطور وأصبحت دولة مستقلة.

17-لقد بينت الدراسة ان مؤتمر وستفاليا (1648م) قد أرسى دعائم هامة أبرزها التسامح الديني وضرورة التعايش بين المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي وضاعت محاولات المصلحين الرواد في القضاء النهائي على الكاثوليكية البابوية في روما، كما تبددت جهود رجال الثورة المضادة دعاة انتعاش الكاثوليكية في إعادة الوضع الديني كما كان سابقاً. حيث كان الولاء المطلق للبابا وكنيسة روما.

18-اثبت الدراسة ان السلام الذي اقامه مؤتمر وستفاليا والذي ارتكز على مبدا توزان القوى لم يكن سلاما رومانيا فرضته الامبراطورية الرومانية على الشعوب التابعة لها ولم يكن سلاما مسيحيا فرضته الكنسية على رعاياها من الملوك والامراء بل كان سلاما خططت له فرنسا باقامة تحالف للقضاء على اسرة الهاسنبورغ حتى يتسنى لها الزعامة داخل اوروبا وخارجها.

وبذلك كان مؤتمر وستفاليا بمثابة فاتحة عصر جديد في أوروبا طرح أفكار جديدة للتعامل بها في الميدان الديني وتداعت فيها كيان إمبراطور لأسرة الهابسبورج العريقة، كما ترسخت فيها ظاهرة الدولة القومية الحديثة في أوروبا وان مؤتمر وستفاليا يعتبر محورا اساسيا في تطور العلاقات السياسية بين الدول الاوربية الحديثة وان خلق التوازن الدولي بين الدول ومهد للدبلوماسية الدائمة بين الدول

وقد استمر الحال في أوروبا على هذا الوضع إلى ان حاولت فرنسا توسيع ممتلكاتها على حساب الدول المجاورة لها. دون مراعاة لمبدأ التوازن الذي اقره مؤتمر وستفاليا، ولذلك تحالفت الدول ضد فرنسا واشتبكت معها في حرب طويلة انتهت بتوقيع معاهدة اوترخت عام 1713م التي أعيد بمقتضاها تنظيم أوروبا على أساس فكرة توازن القوى.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

1- ابوعلية، عبدالفتاح وباغي، اسماعيل ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ، الرياض 1979م.

2- الادهمي، محمد مظفر ، تاريخ أوروبا الحديث (صر النهضة)، مطبعة التعليم العالي والبحث العلمي، (بغداد 1989).

3- أديب، نصور ، ميزان الدول دراسة العلاقات الدولية على ضوء توازن القوى، منشورات جامعة قاريونس، ط1، بنغازي، 1991م.

4- الاسكندري، عمر وسليم عثمان، تاريخ أوروبا الحديث وآثار حضارتها، مطبعة دار المعارف، مصر (د.ت).

5- انيس، محمد احمد والسيد حراز، رجب ، عصر النهضة الأوروبية، القاهرة، 1960م.

6- البطريق، عبدالحميد ونوار،عبدالعزيز ، التاريخ الاوروبي الحديث، من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، طباعة، دار النهضة العربية، بيروت.

7- الجمل، شوقي عطا الله ، ابراهيم، عبدالله عبدالرزاق ، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري للنشر، القاهرة، 2000م.

8- حاطوم، نورالدين ، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر الحديث، مصر، 1968م.

9- حراز، السيد رجب ، عصر النهضة، دراسة في الحضارة الأوروبية الحديثة، القاهرة، 1974م.

10- خريسات ، محمد وآخرون، تاريخ الحضارة الإنسانية، دار الكندي للنشر، الأردن، 1999م.

11- راشد ، زينب عصمت ، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر، القاهرة، 1998م.

12- الروجني، محمد محمود ، معالم التاريخ الأوروبي الحديث، الإسكندرية، 1967م.

13- سليمان، على حيدر ، تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، دار واسط، بغداد 1990م.

14- شكري، محمود فؤاد ومحمد ونيس، أوروبا في العصور الحديثة من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1956م.

15- الشناوي ، عبدالعزيز محمد ، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ح1، ط3، مكتبة الانلو المصرية، مصر، 1977م.
16- صالح، محمد محمد ، تاريخ أوروبا الحديث (1870-1914م) مطبعة شفيق، بغداد، 1968م.
17- صالح، محمد محمد ، تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية (1500-1789م) بغداد، 1981م.
18- صبحي، حسن ، محاضرات في التاريخ الأوروبي الحديث، ج1، كطبعة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1975م.
19- عبدالعظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، ج2، القاهرة، 1997م.
20- عراقي ، يوسف محمد، في أصول التاريخ الأوروبي الحديث دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية فكرية، المنار للطباعة الحديث، ط1، (د.ت).
21- العقائبي، على عودة ، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول التاريخ والنظريات، دار الكتب الوطنية، بنغازي (د.ت).
22- العكيلي، صالح حسن ، الوجه الآخر للنهضة الأوروبية، محاضرات في تاريخ أوروبا في عصر النهضة (453-1789م)، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
23- عمر، عبدالعزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، الإسكندرية، 1992م.
24- غنيمة حارث يوسف ، البروتستانت والانجليون في العراق، مطبعة الناشر المكتبي، بغداد، 1998م.
25- فاضل حسين ونعمة، كاظم هاشم ، التاريخ الأوروبي الحديث (1815-1939م)، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، 1982م.
26- لدسوقي ،محمد كمال ا، تاريخ ألمانيا، دار المعارف، القاهرة، 1969م.
27- مارتن، جون ، تاريخ العالم، المجلد 6، دار الثقافة العامة، مصر (د.ت).
28- مخزوم، محمد ، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة)،ج10 دار الكتاب اللبناني، بيروت 1983.
29- مراد، خليل على وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، الموصل 1488م.
30- مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج2، دار اسامة، عمان.2004
31- نعنعي ، عبدالحميد محاضرات في مصالح التاريخ الأوروبي، مكتبة كريدية اخوان، بيروت، 1969م.

32- نعنعي ، عبدالمجيد ، أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة (1453-1846م) دار النهضة العربية، بيروت، 1983م.
33- نوار، عبدالعزيز سليمانو جمال الدين، محمود محمد ، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 1999م.
34- هريدي ، صلاح احمد ، معالم تاريخ أوروبا الحديث (من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية) مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، 2008م.
35- يحيى، جلال ، التاريخ الأوروبي الحديث، ج1، مؤسسة شباب الجامعة، (د.م) 1975م.
36- يحيى، جلال ، معالم التاريخ الحديث، منشورات دار المعارف، الإسكندرية، 1976م.
37- يحيى، جلال و طه جاد ، معالم التاريخ الأوروبي الحديث، مطبعة المعارف، الإسكندرية، 1974م.
38- يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية اتجاه الصراع العربي الصهيوني، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1990م.

ثانياً: الكتب المترجمة

1- ال رواس، التاريخ الانجليزي، ترجمة محمود مصطفى زيادة، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1946م.
2- البان ج وبرجيدي، المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى توينبي، ترجمة دوفان قرقوط، دار القلم، بيروت، 1972م.
3- جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة على المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الاردن، 2006م.
4- روبرت.وبالمر، تاريخ العالم الحديث، ترجمة محمود حسين الأمين، ج1، مكتبة الوفاء، الموصل (د.ت).
5- روجر باركنسن، موسوعة الحرب الحديثة، ترجمة سمير عبدالرحيم الجلبي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1990م.
6- رولان موسينية، تاريخ الحضارات العام، ترجة يوسف اسعد داغر، المجلد 4، منشورات عويدات، بيروت، 1966م.
7- رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، 1601-1977م، ترجمة احمد الشيباني، ط3، القارئ العربي، مصر، 1994م.
8- السير جون أ هامرنت، تاريخ العالم، ترجمة إدارة الثقافة بوزارة التعليم العالي، مكتبة النهضة المصرية، ج6.

9- فريدرك هرتز، القومية في التاريخ والسياسة، ترجمة عبدالكريم احمد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

10- ل.م هارتمان و ج باركلاف، الدولة الإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، بيروت، 1981م.

11- مارتن للوثر، نفاق اليهود، ترجمة عجاج نويهض، ط1، دار الفكر، بيروت، 1979م.

12- ميشيل دووفيز، أوروبا والعالم في القرن الثامن عشر، ترجمة الياس مرقص، ج1، دار الحقيقة، بيروت، 1980م.

13- هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، ترجمة زينب عصمت راشد واحمد عبدالرحيم مصطفى، مراجعة احمد عزت عبدالكريم، القاهرة، 1968م.

14- هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ترجمة دار المعارف بمصر، 1962م.

15- هربرت فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة احمد نجيب هاشم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1969م.

16- هنري كيسنجر، الدبلوماسية من القرن السابع عشر حتى بداية الحرب الباردة، ترجمة مالك فاضل البديرت، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1995م.

17- ول ديورانت، قصة الحضارة ترجمة زكى محمود، عبدالحميد يونس، ج24، (د.م 1981م).

ثالثاً: الكتب الأجنبية

1- David Ogg Europe in the 17th century stage.

2- G.R.potter The New Cambridge History 1520-1559, V012 Cambridge 1965.

3- GR. Eltom. Reformation Europe(1517-1559) (london 1963).

4- The origin of Elizabeth (1558-1603) (Great Britain). J. B. Black 1965.

5- Pollisensky.j.v.the thirty year war, London : b.t batsfond.1971.

رابعاً: المعلومات الدولية (الانترنت)

1- الأصولية المسيحية في الغرب مستل من شبكة الانترنت www.Nizwa.com

2- الثورة على الكنيسة مستل من شبكة الانترنت www.al800.net

3- الثورة على الكنيسة مستل من شبكة الانترنت www.alwasag.com

4- لوثر والإصلاح الديني مستل من شبكة الانترنت www.alwasag.com

5- مارتن لوثر: الثورة الإصلاح مستل من شبكة الانترنت www.alamalcomputer.com

6- مارتن لوثر الإصلاح الديني www.alamalcomputer.com